

مكتبة الائمة والشهداء في الأزهر

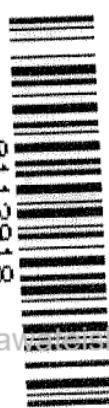
قطاع المطالعه



طبع محتوى الشعراوي



0112918



Bibliotheca Alexandrina

www.arabicawatertank.net

أَنْفُسُ الْأَيُوبِ

مِنْ عِنْدِ الْقَافِ

مكتبة الشاعر والروائي المترسلية

الحج المبرور

كتاب الأشجار
محمد متولى الشعراوى

رئيس مجلس الإدارة:

إبراهيم سعده

مكتبة أبو العيس الالكترونية

.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَسَلَامٌ عَلَى
— يَهُوا بِرَسُولِ اللَّهِ —

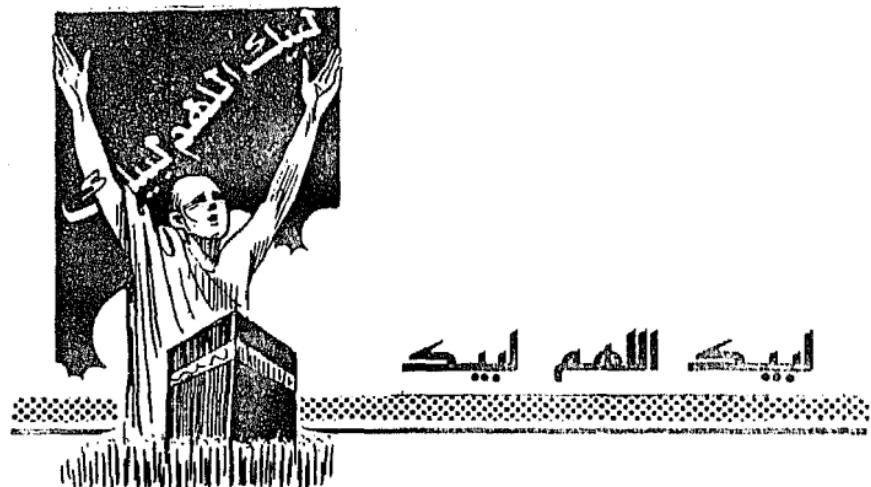
سَلَامٌ عَلَى أَمَّةِكُوْنِهِ حَذْرَهُ تَكْتُبُ
الَّتِي سَفَعَ رَهْبَانَتِي خَلْصَرَهُ عَلَى
طَهِيعِ الْأَرْجُونِ دُوْرَأَنِي الْمَرْيَاهُ نَهْرِيَار
وَلَهُ نَسْأَلُ الْأَرْدَاهَيَهُ وَالْقَوْفِيَهُ لَمْ

مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَرَوِي

الاحراج الفسي
عند الكريم محمود

العلاف برائحة
الفسار · سيد عبد الفتاح

الفصل الأول



بحلول موسم الحج في كل عام تمتليء
القلوب شوقاً للذهاب إلى بيت الله الحرام
لأداء فريضة الحج وزيارة قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، لما في ذلك من متعة
روحية لا تعادلها متعة أخرى ، من إحساس
بالقرب من الله ، ومن انشغال بالله سبحانه
وتعالي عن خلقه جميعاً سواء كانوا أهلاً أو أقارب أو عشيرة أو
غير ذلك من صلات القربي .

إن المسافر لأداء فريضة الحج يترك كل شيء ويتفرغ لعبادة
الله .. يترك أهله .. وماله .. وأصدقاءه وسلطانه .. إنه
يخرج من الحياة التي ألفها ليقترب من الله في صلاة وطوف
وتلبية وذكر وتسبيح ، لا يكل ولا يمل .. يخضع لله قلباً وقائلاً
وتزداد طاعته لربه كل يوم .. فتنزل الرحمات على القلوب ،
فتسلل الدموع من العيون ويشعر الإنسان أن الدين كلها بما
فيها ومن فيها قد تضاءلت أمام القرب من الله ورضاه ..

إن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله
على المستطيع ، الذي يملك المال والصحة والقدرة ، على
أدائه ..

والحج - ككل متطلبات الإيمان - عطاءً لوهية وليس عطاءً
ربوية .. فالله سبحانه وتعالي ينعم على خلقه جميعاً بما يحفظ
حياتهم من طعام وشراب وماوى . ولكن إذا جئنا للإيمان فإنه
 سبحانه لا يكلف إلا من آمن به .. ومن دخل في عقد إيمان

من الله سبحانه وتعالى ، وقال : يارب آمنت بك إلها واحداً
أحدا خالقا .. فعلمني كيف أعبدك ، وأمرني فأطيعك وأنهني
فلا أقرب مما نهيتني عنه ..

يبدأ الحاج رحلته بقوله : « لبيك اللهم لبيك » ومعنى
التلبية انك تحيب دعوة الداعي لك - وهو الله سبحانه وتعالى -
الذى يسر لك حجج بيته وأعانك عليه بالنفقة والاستطاعة ،
وانك بهذه التلبية تعلن خروجك إمثالة لأمر الله الذى أنعم
عليك بأجل النعم وأعظمها .. حج بيته العتيق ..

يقول الحاج بعد الإحرام بالحج : لبيك اللهم .. أى لبيك
يا من كلفتني بأداء هذه الشعيرة ، وهذا معناه ترحيب بالتكليف
وصفاء النفس ، لتقر بأن كل تكليف لله تعشقه النفس وهو أمر
محبوب إليها ..

والتكليف عادة ما يكون شاقا على النفس .. لأنه يقيد
حركة الإنسان بأن تأمره بفعل أمر معين .. أو تنهى عن
إتيانه .. منها يكن موقفك منه من حب أو كراهيـة ..
فالإمثـال لأمر الله هو الدليل على قـوة الإيمـان .. فالإنسـان
المؤمن يتلقـى التـكـلـيفـ من الله بـعـشـقـ سـوـاءـ كانـ أـمـراـ ..
بـافـعـلـ .. أوـ نـهـيـاـ بلاـ تـفـعـلـ ..

إن الحاج يترك كل شيء يألفه ، يترك بيته ويترك وطنه ويترك
أهله وأولاده ويترك ماله ويترك ثيابه التي يحبها ويترك أشياء
كثيرة أحلها الله له ، وهو في رحلته يتجرد من أشياء كثيرة

ويلتزم الأدب مع الكون كله .. مع الجماد والنبات والحيوان
وسائر المخلوقات ..

مع النبات .. فهو لا يقترب من شجرة ليقطع أغصانها ،
ومع الطير فلا يصيده .. ومع الخلق فلا يفسد حجه بالجدال
مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومٌ لِّتَفَنَ فِيهِنَ الْحَجَّ فَلَا رَأْثَ وَلَا فُسْوَقَ
وَلَا جِنَالَ فِي الْحَجَّ ﴾

(من الآية ١٩٧ من سورة البقرة)



الحج أشهر معلومات



إن الله سبحانه وتعالى في فرائضه قيد اختيار الإنسان إما مكاناً وإما زماناً . وهناك من العبادات ما لم يقيده الله لا بالزمان ولا بالمكان .. كالشهادة .. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تقووها مرة واحدة في عمرك .. تقووها نهاراً أو ليلاً أو ضحى .. في بيتك ، أو في عملك ، أو في الطريق .. لا قيود عليها لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان ..

الصلاوة مثلاً عبادة قيدها الله زماناً ، ولم يقيدها مكاناً .. أنت تستطيع أن تصلي في أي مسجد أو في المصنع أو في البيت أو الحقل .. المكان أنت حر في اختياره ولكن الله سبحانه قيدها زماناً ، فكل صلاة لها وقتها ولا تصح الصلاة إلا بدخوله ..

والصوم قيده الله زماناً في شهر رمضان من كل عام ، ولكن ترك لك حرية المكان .. فأنت تصوم في أي مكان شئت وفي أي بقعة من الأرض تختار ..

وبالنسبة للزكاة .. فقد قيدها الله زماناً ومقداراً ولكن لم يقيدها مكاناً . فزكاة الفطر وقتها في آخر رمضان .. وزكاة الزروع والثمار ، وهذه تؤدى عند الحصاد ، والزرع لازال في

الحفل قبل أن يتم نقله إلى التخزين وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّتِ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخلَ
وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا كُلُّهُ وَالزَّيْوَنَ وَالرَّمَانَ مُتَشَبِّهًا وَغَيْرَ
مُتَشَبِّهٍ كَوْمَنٍ شَمَرْهَ إِذَا أَتَرَوْهُ أَوْ أَحَقَّهُ بِوَرْ حَصَادَهُ
وَلَا سُرْفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسَرِّفِينَ ﴾ ١١١

(سورة الأنعام)

وزكاة المال تجب على المال الذي بلغ النصاب (وهو المقدار الذي تجب فيه الزكاة) من الحول إلى الحول .. أي بانقضاء عام كامل ، إلى غير ذلك من أنواع الزكاة كلها مقيدة زماناً ولكنها غير مقيدة مكاناً ، فأينما كنت وجبت عليك تخرجها دون أية شروط بتحديد أرض معينة أو بلدة معينة ..

أما الحج فإنها مختلف عن سائر العبادات من حيث إنها مقيداً زماناً ومكاناً . وعلى هذا فلا يصح أن تحج وأنت في بيتك أو موطنك ، بل لا بد أن تذهب إلى بيت الله الحرام في مكة ، ولا يصح أن تقف في يوم عرفة في أي مكان بل لا بد أن تذهب إلى عرفات في التاسع من ذى الحجة وتقف في المكان المحدد للوقوف لا تتعدها ، كما لا يحق لك أن تؤدي مناسك الحج في أي شهر من شهور العام بل لا بد أن تكون في شهر ذى الحجة ..

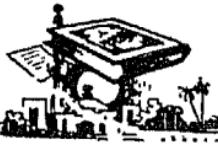
وهكذا نعلم أن الحج هو الفريضة الوحيدة المقيدة زماناً ومكاناً ، ولذلك كان جزاؤها غفران الذنوب ، لأنها من أكثر الفرائض مشقة على النفس المؤمنة .. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :

﴿وَلِلّهِ عَلَى الْتَّائِسِ هُجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

(من الآية ٩٧ من سورة آل عمران)

وسيأتي حديثنا عن هذا الموضوع مستفيضاً في الفصول القادمة إن شاء الله ..





إِبْرَاهِيمَ يُؤْذَنُ بِالْحَجَّ

لقد طلب الله سبحانه وتعالى من إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال جل جلاله :

﴿ وَأَذِنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ
يَأْتُينَ مِنْ كُلِّ قُوْمٍ فَسَعِيقٌ ﴾ (١٧)

(سورة الحج)

وقف إبراهيم عليه السلام في هذا المكان المقفر المجدب الذي لا ماء فيه ولا زرع ، لم يكن هناك أحد يسمعه ، ولكن أذن لأن الله سبحانه وتعالى قال له : عليك الآذان وعلىنا البلاغ . وكان من طلاقة قدرة الله أن بلغت هذه الدعوة مسامع كل من كتب الله له أداه هذه الفريضة الجليلة منذ أذن إبراهيم عليه السلام وإلى أن تقوم القيمة .. سمعوا نداء أبيينا إبراهيم عليه السلام وهم ما زالوا في ظهور أجدادهم فاستجابوا له ..

لقد سهل الله سبحانه وتعالى بيته الضرام قبلة للمؤمنين يتوجه إليه كل يوم ننسى صرات في المسلاة . وبذلك شاءت إرادة الله أن ينشغل قواد المؤمنين بهذا البيت وهو يرمي عنده إلى أن يؤدي ذريته الحج ليتم بها نعمة الإيمان بالله ..

فكان كل إنسان مسلم قد أعده الله إعداداً نفسياً للحج قبل أن يحج بسنوات .. وقد يموت الإنسان ولا يحج ، ولكن قلبه يظل مشغولاً بالبيت معلقاً به ، يتوجه إليه خمس مرات كل يوم ..

والحج فريضة تقتضي أشياء كثيرة في حركة الحياة .. فهي تقتضي مجهوداً وطاقة وعوناً من الله بالقوة والقدرة والعافية ، وتقضي حركة ، لأن الإنسان عليه أن يعمل أكثر من حاجته المعيشية ليدخل مصاريف الحج ، فلو عمل على قدر حاجته لكسب وأنفق ما يكفي يومه وما دخل شيئاً ليحج به ، ولذلك فإن المؤمن يطلب من الله طاقة عمل تتسع له ولمن يعول ولما سينفقه بعد ذلك عندما يكون حاجاً ..

كل هذه الإعدادات سواء بالنسبة للصحة أو بالنسبة للعمل أو بالنسبة للطاقة تعطي أكثر من الحاجة .. كل هذه نعم من الله .. هذه النعم إذا توافرت لك تستحق أن تحمد الله عليها بأن تقول : « لبيك اللهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .. الحمد لأنك أنتني بالطاقة والقدرة والإمكانيات وأمددتني بنفقات حجتي ونفقات أسرق مدة غيابي .. لك الحمد لأنك أنعمت على بكل هذه النعم .. التي منها توالى شكري عليها فلن توفيك حركك من الثناء والحمد ..

ولابد أن نلاحظ الدقة في التعبير بالنسبة لشعار الحج .. فالحاج يقول : « لبيك اللهم لبيك ، إن الحمد والنعمة ..

وكان السياق يقتضي أن يقال : إن النعمة والحمد لك لأن الحمد لا يكون إلا على نعمة . ولكن هنا يأتي الحمد وبعد ذلك النعمة لماذا ؟ لأنك وأنت تحمد فإن حمدك كان على نعمة سبقت .. فالله سبحانه وتعالى قد أعطاك كل هذه النعم التي مكتسبك من أن تبدأ رحلة الحج . فأنت تحمده على نعمة قد قمت فعلا ، وأنت تحمد الله على نعمة قادمة وهي نعمة الإيمان التي جعلتك تقوم بهذا التكليف . فكأن النعم مستمرة من الله والحمد مستمر لله ، فنحن نحمد الله سبحانه على نعم مضت وعلى نعم قادمة .. ونعم الله دائمة لا تنفد ولا تنتهي مصداقا لقوله تعالى :

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقِيرٍ وَلَبِخْزِينَ اللَّذِينَ صَبَرُوا
أَجْرُهُمْ بِإِحْسَنٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ①

(سورة النحل)

ويقول الحاج وهو يلبي : « إن الحمد والنعمة لك والملك » ومadam الملك الله سبحانه وتعالى وسيظل كذلك .. فعلى الإنسان ألا يخشى شيئا في الدنيا ..

يقول الله في الحديث القدسى الشريف :

(يا ابن آدم لا تخف من ذى سلطان مadam سلطان وملوك لا يزول . لا تخف من فوات الرزق مادامت خزانة مملوءة لا تنفد . خلقت الأشياء كلها من أجلك . وخلقتك من أجلي فسر في طاعتي يطعلك كل شيء . لي عليك فريضة ولك على رزق . فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ان رضيت

بما قسمته لك أرحت قلبك . وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزق وجلاً لـأـسـلـطـنـ عـلـيـكـ الدـنـيـاـ تـرـكـضـ فـيـهـاـ كـرـكـضـ الـوـحـوشـ فـيـ الـبـرـيـةـ وـلـاـ يـنـالـكـ مـنـهـ إـلـاـ مـاـ قـسـمـتـهـ لـكـ وـكـنـتـ عـنـدـيـ مـذـمـومـاـ) ..

وقول الحق : « لا شريك لك » حتى يدخل الإطمئنان في قلب المؤمن بأن الله واحد أحد .. الله يريد أن يطمئننا بأنه واحد لا شريك له ينافيه فيريده .. هذه الوحدانية نعمة كبرى لا بد أن نحمد الله عليها لأنها لو كان هناك شريك لله لفسدت الأرض ولضاعت مصالح الناس بين إله يريده ، وإله لا يريده ..



إنعام نعمة الله



ويجب أن نلاحظ أن النسك الوحيد الذى يعطى المؤمن لقباً مميزاً هو الحج ، فأنت لا تقول : المصلى فلان من يواظب على الصلاة ، ولا تقول : المزكى فلان لأنه يؤدى الزكاة ، ولكن تقول : الحاج فلان . من حج بيت الله الحرام ..

إن الحج إعلان بتهام نعمة الله على الإنسان ، وتمام نعمة الله في عطاء الربوبية وعطاء الألوهية ، لأنك ما حججت إلا عن قدرة أمدك الله بها بمقتضى نعم الربوبية .. فعندما ينادى الناس : الحاج فلان .. نعلم أن الله قد أنعم عليه إنعاماً جزيلاً .. أنعم عليه بنعمة الإيمان بالله وهي أجل النعم ، وبنعمة الإيمان بالرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومادام قد قرر أن يحج فلابد أن يكون مؤدياً بجميع ما كلف به من صلاة وزكاة وصيام .. وهو يريد بأداء فريضة الحج أن يستوفى أركان الإسلام الخمسة وذلك ليكون من خاطبهم ربهم بهذه الآية الكريمة التي نزلت في حجة الوداع .. وهي قوله عز وجل :

﴿إِلَيْهَا أَكَمَّتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ
لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(من الآية ٣ من سورة المائدة)

أى أتممت واستوفيت كل أركان الدين .. إستوفيت الصلاة بذهابك إلى البيت الحرام لتصلّى فيه .. والحج فيه زكاة حيث إنه عبادة مالية وبدنية في آن واحد لأنك تنفق المالك في سبيل الله .. والحج فيه من الصوم لأنك تبتعد عن شهوات الجسد مادمت محرا .. والحج فيه أولاً وقبل كل شيء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، لأنك تأتي تلبية لأمر الله سبحانه وتعالى وطاعة له وتقوم بمناسك الحج كما علمها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

إن عبودية الإنسان لله تقتضي أن نبتعد عن التعالي على بعضنا البعض .. فإذا ذهبنا إلى المسجد للصلاحة .. فإن مقتضي المساواة أن من يصل أولاً .. يجلس أولاً ، بصرف النظر عن منصبه أو غناه أو فقره أو منزلته من الدنيا .. إنك تجد بواب العماره مثلاً في الصف الأول وصاحب العمارة في الصف الأخير ..

إن هذه المساواة في العبودية لله تعالى تخرج التعالي من النفس وتجعلها تتواضع بحيث نحس جميعاً اتنا نقف أمام إله لا ينظر إلى صورنا وهيئتنا ، وإنما ينظر إلى قلوبنا .. لأنها معيار التفاوت بين إنسان وأخر .. بغض النظر عن مستوى الفكرى أو المادى .. بمعنى أن كل جماعة تقام في مسجد من مساجد الله مساوياً لهم وخضوعهم وذلتهم لله تكون في نطاق محدود ..

لكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يجعل هذه المساواة والخضوع ليس في بيئه محدودة ، ولكن في نطاق عالمي ، وفي

بيئة عالمية تجمع كل أجناس الأرض .. الأمم القوية والأمم الضعيفة .. القوي وصاحب الجاه ، والسلطان ومن لا يملك شيئا .. هؤلاء لابد أن يكون لهم موقف يتناسب مع عظمة الحجج .

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يربى علينا مقومات هذا الموقف فيقول : إنكم مختلفون في زينتكم وفي هيئاتكم وفي لباسكم حسب مكانة كل إنسان في مجتمعه وتتفاوتون في انتقاء نوع الأقمشة التي تلبسوها وطريقة التفصيل .. ويريد الله سبحانه وتعالى في الحج ألا يتميز بعضاً على بعض لا في الهيئة ولا في الملبس .. تمييز كما شئنا في بلادنا وبين أهلينا .. ولكن هنا وعندما نصل إلى بيت الله الحرام .. لابد أن نقف أمامه متساوين كما خلقنا وكما سنقف أمامه يوم القيمة .

إنه يريدنا عباداً له نلبس لباساً واحداً لا يختلف فيه أحد عن الآخر ، نخلع نعم الدنيا ونتخلى عن مراكزنا ، ومتى وصلنا إلى حدود البيت تنتهي هذه الميزة ، فملابس الإحرام تتوضع على الجسم بلا محيط ، الكل يتلزم بزي واحد ونوع واحد .. وبهذا الالتزام الذي فرضه الله تعالى أول مظاهر من مظاهر التميز والتعالي بالملابس والمراتك .

التأدب مع أجناس الكون



وكما أخرج الله الحاج مما ألف من أهل وولد ومال واعتياض رفاهية وأسلوب حياة ، وكما أخرجه من التميز في الثياب ، ألزمه بالتأدب مع كل أجناس الكون .. مع الجماد فيقبل الحجر الأسود أو يشير إليه ، ومع النبات فلا يقطع شجرة ، ومع الحيوان فلا يصطاده ، ومع الإنسان فلا يتشارجر ولا يجادل .. وهكذا يعلمنا الله سبحانه وتعالى كيف نتأدب مع أجناس الكون ..

في هذه الرحلة المباركة يتعلم الإنسان كيف يتنازل عن كبرياته وسيادته في هذا الكون إلى أدنى الأجناس - وهو الجماد - لكي يقبّله ويترافق على تقبيله فلا يوجد من هو عظيم بذاته ، إنما العظمة حقيقة هي أن تجعل اختيارك متasca ومنسجها ومتوافقا مع مراد الله ووفق منهج الله ..

في هذا الركن الخاتم من أركان الإسلام الخمسة يقول الله لعبده : إلزم أدبك مع كل أجناس الكون فليست السيادة لك بذاته ولكن السيادة جاءتك بفضل الله لك ..

ويجب أن تلتفت إلى ما تطالبك به هذه الشعيرة .. وأن تمعن النظر والتفكير فيه حتى تفهم مطلوب الله منك .. ولتدرك أن العلة في الأمر .. في الإيمان .. في الطاعة ، فالله هو الذي

قال : قبّل هذا الحجر ، وإرجم هذا الحجر ! فلاف التقبيل
تفضيل ذات ، ولا في الرجم تفضيل ذات ، ولكنها طاعة لأمر
الله .. ولذلك فهي لا تخضع لفلسفات العقل ، ولكنها تخضع
لطاعة الإيمان ..

إن أول شيء حين تبدأ رحلة الحج - كما قلنا - هو التلبية ..
وهي إستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام عندما أذن في الناس
بالحج .. ثم بعد ذلك عليك أن تتجرد من الكبر على غيرك
وأن تخلع الثياب الفاخرة وتهجر البيت المعد أعدادا خاصا
لراحتك ، والأولاد والأصدقاء والأقارب وجاهك وممالك ..
كل هذا تركه خلفك وتذهب إلى بيت الله الحرام متجردا
محرما ، تاركا الدنيا وراء ظهرك .. ليس على جسدك سوى
قمash غير مخيط يشبه الكفن الذي تخرج به من الدنيا ..





الكلاء عند الـ^{بيت}

عندما تدخل بيت الله الحرام وتطوف حوله تجد الدموع تملاً
عينيك لماذا؟

كثير من الناس لا يعرفون لهذا سببا ولكن البكاء في هذا المشهد تعبير عن ترك الكربلاء الذي طالما صاحبك ، وعلى قدر ما تذرف من دموع .. على قدر ما يذهب عنك من كربلاء. وإذا كان البكاء مظهرا من مظاهر الضعف والحزن ، فإنه في الحج ليس كذلك ..

إنك قد تخليت
عن كل شيء وعرفت قدرك الحقيقى تأق إلى هذا المكان تريد
أن تعلن ندمك على ما فعلت وتضررك لله سبحانه وتعالى
ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

هذا القرب الشديد من الله وإحساسك به في كل لحظة ..
هو الذي يجعل للبكاء روحانية تغلب عليها الفرحة ، فرحة
التخلص من الآثام .. فرحة رضاء الله عنه الذي يحسه
ويدركه .. فرحة الإعتراف بالخطأ الذي يعني عدم العودة
بالتوبية ..

إنها قوة الإيمان الذي يدفع الإنسان إلى التخلص من كل

ما يشوب عقیدته وسلوکه من خطأ وانحراف . إن التخل عن
الكبر قوة ، وطلب الرحمة والمغفرة قوة ..

إن كل من مر بهذه الأحسيس الجياشة يعرف جيدا إن نفسه
قد ارتاحت بعد البكاء .. وكان قلبه قد غسلته هذه الدموع
التي سالت من عينيه .. الكل يبكي على قدر ما أسرف على
نفسه وعلى قدر ما خالف ..

والعجب إنك بعد أن ترتاح نفسك تستيقظ مرة أخرى إلى
أن تعود إلى ما يبكيك .. فتأتي مرة ثانية وثالثة إلى الحج ولتكن
ليس في كل مرة تبكي مثل المرة الأولى .. المرة الأولى كان
البكاء فيها بحرقة وبغزاره ، والثانية أقل ، والثالثة أقل ..
لماذا ؟!

إنك في كل مرة تزداد صفاء وتزداد اعتدالا في منهجك في
الحياة ، ومتى دخلت المسجد الحرام ورأيت الكعبة شغلت
بنفسك وحدها ونسيت كل شيء . فأنت مشغول بكيف تصل
وكيف تطوف وكيف تسعي وبماذا تدعوا وماذا تقول .. أنت
مشغول بالله عمن حولك ومادمت مشغولا بالخالق جل
جلاله .. فلن يتسع قلبك لسواه .. حتى أولادك لن ينطروا
على بالك إلا بانتهاء المناسب .. ويتعجب الناس لذلك
لكن .. لا مجال للعجب ..

تعظيم الكعبة



يقول بعض الناس إن الإختلاط بين الرجال والنساء قد حرمه الدين .. فلماذا لم يمنع الاختلاط في الطواف؟ إننا نشاهد الرجال والنساء وهم يطوفون لا يكاد يمر الواحد منهم إلا بجهد جهيد .. من الزحام الشديد .. ونقول لهؤلاء أن كل طائف وطائفة مشغول بما هو فيه .. لقد تراجعت النوازع وتلاشت النزغات .. فلم يعد أحد يدرى بمن حوله .. كل مشغول بالله .. مشغول بعبادته مشغول بنفسه ..

وبالنسبة للصلوة في بيت الله الحرام تجد كل الاتجاهات في الصلاة قد اختلطت كيف؟ نحن حين نصلى في مساجدنا في بلادنا بعضنا يتوجه شرقا وبعضنا غربا وآخرون شمالي وآخرون جنوبيا . ولكن عندما نصل إلى بيت الله الحرام فإننا لا نلتزم بهذه الاتجاهات ..

هل يجوز لي في مصر وأنا في أحد المساجد أن أصلى إلى الركن اليهاف؟ هل أفعل ذلك عندما أذهب إلى الكعبة .. أبحث عن الركن اليهاف لأصلى إليه .. لا .. بل أصلى إلى ركن من أركان الكعبة وأتذكر قول الله تعالى :

﴿ وَإِلَيْهِ السُّرُقُ وَالْمُغَرِّبُ فَإِنَّمَا تُولِّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾

(من الآية ١١٥ من سورة البقرة)

هذه هي عظمة العبادة ..

أنت في بيت الله الحرام تكون الكعبة كلها أمامك ،
والواجب عليك أن تعظم كل مكان فيها ، كل جزء منها ،
ولا يتم ذلك إلا بالطواف حولها .

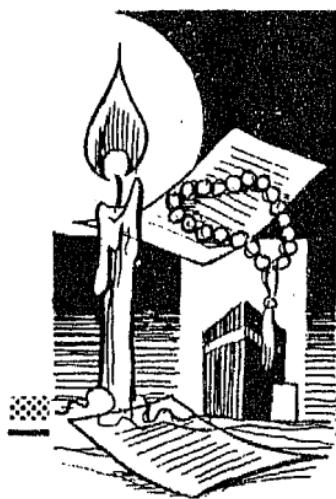
وقد قالوا : إن الطواف يكفي أن يكون مرة حتى يتحقق هذا
المعنى ، ولكن الكعبة على هيئة البيت المعمور ، فكأنك إذا
سرت في جو الكعبة تنتهي إلى البيت المعمور .

إن الذين يصلون في الدور الثالث في الحرم يكونون أعلى من
ارتفاع الكعبة ولكنهم يستقبلون جوها .. فجو الكعبة يمثل
الكعبة حتى البيت المعمور في السماء السابعة ..

فلو كنت تستقل طائرة متوجهة إلى الكعبة تصل فيها وأنت
متوجه إلى جو الكعبة .. ولأن السماوات سبع فتقول لمن يرى
أن الطواف مرة واحدة حول الكعبة تعظيم لكل أجزائها نقول
له : تمثل المعراج فإنك إذا قضيت الأشواط السبعة أمام الكعبة
فكأنك عرجت إلى السماوات السبع بشرط أن يكون في قلبك
صفاء وإشراق ..

ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء .. ولا حرج على فضل الله
المنعم .. الذي شملت عطاياه جميع الخلق .

الفصل الثاني



مقام إبراهيم

قبل أن نتحدث عن الحج .. لابد أن
نعطي لمحات سريعة عن تاريخ البيت
الحرام .. الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه
ال الكريم :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَبْتَئِلُهُ مَبَارَكًا
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾^{١١}

(سورة آل عمران)

هذا هو تاريخ التكوين .. البيت وضع للناس بإبتداء من
آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة .. ولا بد أن يكون واضح
هذا البيت هو الله سبحانه وتعالى ، لأنه هو الذي أقامه ، وهو
الذي حدد مكانه .. لأنه مadam موضوعا للناس ، فلا بد أن
يكون قد وُجِد قبل أن يوجد الناس .. وهو قد وضع ساعة
خلق الكون ، لقد شاءت إرادته سبحانه وتعالى حين خلق
الكون أن يجعل له بيتا ليحج إلى آدم وذراته ، وقد حج آدم
إليه ..

بعض الناس يربطون البيت بإبراهيم عليه السلام ، وإنه
أقامه بتكليف من الله . ونقول لهذا البعض : إفهموا جيدا عن
الله .. البيت وضع للناس .. فكأنه من بداية آدم والبيت
موجود ، ولكن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يأخذ إمرأته
هاجر وإبنه إسماعيل إلى الوادي الذي ليس فيه زرع وليس فيه
ماء عند البيت الحرام .

يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ وَلَذِّبَوْأَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِّيَتًا
وَطَهِّرْ بَيْتَنِي لِلظَّاهِرِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرَّاجِعِ السَّاجِدِينَ ﴾ ١٦

(سورة الحج)

ومعنى بوأنا أننا بَيْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ وحدنناه له وعن هذا البيت يقول الله تبارك وتعالى حاكيا دعاء إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنُتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرَ فِي زَرْعٍ عِنْدَ
بَيْتِكَ الْحَرَامَ ﴾

(من الآية ٣٧ من سورة إبراهيم)

أخذ إبراهيم زوجته هاجر وإبنها إسماعيل وكان طفلا رضيعا وتركهما عند البيت الحرام المحدد من الله سبحانه وتعالى منذ خلق الكون .. إذن فما هو دور إبراهيم وماذا فعل ؟

الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يرفع القواعد من البيت .. أي يقيم بناء مرتفعا على الأرض ليدل الناس على مكان البيت .. ليعرف الناس أن هذا بيت الله الحرام وهذا مكانه .

الكعبة .. علامة للبيت الحرام

ويجب أن يعرف الناس أن الكعبة المشرفة ليست هي بيت الله الحرام .. ولكنها العلامة التي تدل على أن هنا بيت الله الحرام .. بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَمْ يُرْفَعْ لِإِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدُ مِنَ الْبَيْتِ وَلَا سَمِيعٌ﴾

(من الآية ١٢٧ من سورة البقرة)

لقد أشرك الله سبحانه وتعالى إسماعيل مع أبيه إبراهيم في رفع القواعد من البيت .. حتى يستطيع أن يعين والده في البناء .. فكان القواعد لم يبنها إبراهيم إلا بعد أن كبر إسماعيل ليساعد آباء ..

بعض الناس يعتقد أن البيت الحرام هو الكعبة .. وهذا غير صحيح ، فالبيت الحرام هو المكان الذي بنيت فيه الكعبة .. وهناك فرق بين المكان والعلامة الدالة على المكان وهي المكين .. إذن فيما فعله إبراهيم هو أنه رفع القواعد . والإرتفاع كما نعلم هو البعد الثالث .. فهناك المأوى والمرضى لكل مساحة ، ثم يأتي بعد ذلك البعد الثالث وهو الإرتفاع .. أما مكان البيت نفسه فهو الذي أسكن فيه زوجته هاجر وطفلها الرضيع إسماعيل ..



البركة في البيت الحرام

يصف الله سبحانه وتعالى بيته بأنه مبارك .. والبركة هي أن يعطى الشيء أكثر مما تتوقع . فإذا زرع إنسان مثلاً قمحاً .. والفدان يعطي عادة خمسة أرادب .. فإذا أعطاه خمسة عشر أردباً . نقول إن هذه بركة .. إذن هناك عطاء ، وهناك ما هو فوق العطاء ..

إن البيت الحرام تملؤه البركة .. برقة الرضا ، وبرقة منع الأذى عن الناس ، وبرقة الإيمان بِمَا نفسك ، وبرقة خشية الله ، وبرقة قتل الغرور في النفس . وكل إنسان في بيته الحرام متتساً مع الإنسان الآخر . بصرف النظر عن تفاوت منازلهم في الدنيا ، وبرقة أن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة في الثواب ، وبرقة مضاعفة الحسنات في هذا البيت ، وإذا كانت الصلاة بمائة ألف .. فالحسنة أيضاً بمائة ألف حسنة .. بينما في غير بيته الحرام الحسنة بعشر أمثالها ..

ومن البركة كذلك أن صدور الناس تتسع للناس .. فالملايين تندى إلى مكة للحج ، والإمكانيات - منها توافرت - في مكة فلن تتسع لاستقبال كل هؤلاء الناس الذين آتوا من قارات الدنيا الخمس .. ومن كل فج عميق ..

إن الصدور تتسع والأمكنة أيضاً ، فنجده العشرة ينامون في

حجرة وهم مرتاحون .. بينما في غير مكة لوناً إثنان في حجرة
لتضيقاً .. والبركة في الحج أنك تختنق عن كل إثم .. فكل
فترة مررت بك من الزمان لا إثم فيها فهي بركة .. وأنس، في
الحج يبارك الله لك في جميع أوقاتك فلا تفعل إلا الخير وعمل
الخيرات هنا مضاعف بلا حد ولا عد .. ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول :

(الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ..

إنها بركة واسعة جداً .. إمتدت من الدنيا إلى الآخرة ..
ويريد الله من الإنسان أن يعيش منهجه ، ولا توجد فترة يعيش
فيها الإنسان منهج الله أكثر من فترة الحج .. قبل الأذان يهرب
إلى بيت الله الحرام ، ويظل جالساً ويصلّى ويسبح ويقرأ القرآن
ويستحبّ أن يقدم على معصية .. أو يمرّ عليه الوقت ولا يصلّى
بجماعة .. ولا يشغل نفسه إلا بطاعة الله ..

الحق تبارك وتعالى يقول : «إن أول بيت وضع للناس
للهى بيته مباركاً وهدى للعالمين» .. العالمين جمع عالم ،
والعالم هو ما سوى الله .. وهم أجناس متعددة .. هناك عالم
الملائكة وعالم الجن ، وهناك عالم الإنسان وغير ذلك ..
والمقصود هو إن الإيمان متشرّر في الكون كله بين جميع أجناس
الأرض ، وفي موسم الحج تجتمع هذه الأجناس في بيت الله
الحرام .. الحق جل جلاله يقول :

﴿فِيهِ آيَتُ بَيْتٍ سَطَنَتْ لِمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ إِيمَانَ﴾

(من الآية ٩٧ من سورة آل عمران)

الآيات البينات ما هي؟

ما هي الآيات البينات الموجودة في البيت؟ لم يرد في القرآن الكريم إلا قوله تعالى : « مقام إبراهيم » .. لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى هذا المقام . وهو حجر كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت .. كان في مقدور إبراهيم عليه السلام أن يرفع القواعد من البيت .. على قدر إرتفاع قامته .. ولكن عشقه للمنهج ولتكليف الله جعله يأق بحجر ليزيد إرتفاع قواعد البيت ..

الله سبحانه قال : « آيات بینات » وهي جمع .. وجاء : « مقام إبراهيم » .. مفردا .. نقول لودقت الفهم .. ستتجد أن هناك آيات كثيرة في مقام إبراهيم .. ذلك أن النعمة الواحدة إذا نظرت إلى مكوناتها تجد نعمًا كثيرة .. ولذلك يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِنْتَ عَذَّلْ وَأَغْفَصْتَ لَلَّهَ لَا تَحْصُو هَا ﴾

(من الآية ٣٤ من سورة إبراهيم)

قال (نعمة) ولم يقل سبحانه نعم الله ، لأن النعمة الواحدة تنطوي على نعم كثيرة كذلك في مقام إبراهيم آيات كثيرة .. أولها أن إبراهيم أدى تكليف الله له بعشق وحب ، يتمثل في رغبته في إعلائه وتحسينه وإتقانه ولم يدخل جهدا في سبيل ذلك

والإتقان في العمل دليل حبك له وهذا من أسرار جمال الكون
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) ..

فإذا كان الله تعالى قال : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » .. فلابد أن نرى ماذا في مقام إبراهيم .. فيإبراهيم عليه السلام كان أمّة .. فقد اجتمعت فيه من خصال الخير ما لا يجتمع إلا في أمّة . فالخير لا يجتمع في فرد واحد وإنما يجتمع في أمّة .. هذا أمين ، وهذا صادق ، وهذا كريم .. ولكن خصال الخير كلها اجتمعت في إبراهيم عليه السلام ..

وابراهيم كما عشق التكليف صبر على ما ابتلاه الله به فننجح في الابلاء وأداء على أحسن ما يكون الأداء .. وأقرأ قوله سبحانه :

﴿ وَلَذِكْرَهُمْ رَبِّهِمْ كَلِمَاتٍ قَاتَمَنَّ ﴾

(من الآية ١٢٤ من سورة البقرة)

ما هي الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم ؟ لقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يذبح ابنه إسماعيل ، وهو ابنه الوحيد والذى بلغ سن الشباب . فإذا كان موقف إبراهيم من الأمر الإلهي .. هل تباطأ في التنفيذ ؟ هل دعا الله أن يرحم شيخوخته وأن يغفو عن ابنه الوحيد ؟ لا .. وإنما رغم قسوة الإبتلاء شرع في التنفيذ .. هذه آية أن تؤدى التكليف وتصبر على الإبتلاء .. برضاء تام عن الله ..

آية أخرى . . عند بناء الكعبة أراد إبراهيم أن يؤدى حكم الله في رفع قواعد البيت . . ليس بقدر استطاعته - كما قلنا - ولكن تحايل ليزيد من هذه الإستطاعة . . فجاء بالحجر لتعلو القواعد بمقدار علو الحجر . . إذا نظرت إلى الحجر - وهو موجود على بعد أمتار من الكعبة - تجد أن هناك آثار قدمين .. إنهم يقولون إن إبراهيم عليه السلام عندما وقف على الحجر خشخ الحجر ولان .. فطبعت آثار القدمين عليه . وهنالك قول آخر هو إن إبراهيم احتال لنفسه لعمل مكان لقدميه .. حتى إذا وقف فوق الحجر يكون ثابتا ولا تختل حركته ..

هذه كلها آيات .. تلفتنا إلى أننا لا بد أن نأخذ تكليف الله ونؤديه بكمال وبعشق .. لماذا ؟ لأن الكمال والإتقان إشاعة لنعم الله في الوجود .. فأنت إن رأيت شيئاً متقدناً تقول الله .. وغيرك يقول ذلك .. والذى لا يتقن عمله حرم الوجود من إدراك الجمال في الكون .. والله سبحانه هو مصدر الجمال وهو سبحانه جميل يحب الجمال ..





من دخله كان آمنا

يقول الحق تبارك وتعالى : « فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا » أى لا يتعرض أحد للإعتداء .. وهنا قضية كونية وقضية شرعية ..

بعض المشككين قال : أنه في زمن القراءطة دخل البيت أناس للإحتماء وطلب الأمان .. لكن رغم هذا دخل ابن قرمط البيت وأخذ يقتل الناس فيه .. وحدث ذلك منذ سنوات من جماعة جاهيـان فـما هو الأمان المقصود ولـماذا لم يتحقق في هـذين المـثـلـيـن ؟

نقول إن قول الله تعالى : « ومن دخله كان آمنا » هو أمر تكليفي وهو عرضة أن يطاع وأن يعصى .. فالذى أطاع الأمر التكليفى آمن من دخل بيت الله الحرام ، والذى عصى لم يؤمن من دخله ، وهذا لا ينافق قوله سبحانه : « ومن دخله كان آمنا » لأننا بإزاء قضية كونية .. لأنها حدثت ، وبإزاء قضية شرعية من حيث الطاعة والمخالفة .

إن الله كما يطلب من عباده الصلاة والزكاة والصوم .. يطلب منهم أيضاً أن يؤمنوا من يدخل بيت الله الحرام . إنها قضية شرعية يطيعها من أطاع المنهج ويعصاها من عصاه .. وعلى الطائعين أن يحافظوا على أمن من في الحرم كما أمر الله ..

وهذا يتطلب أن يكون الإنسان لين الجانب ولا يتشارجر أو يتجادل أو يفعل ما يثير الشقاق والتضارب ..

ومعنى قوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا » .. أى من دخله فأمنوه .. ولابد أن تكون هناك جماعة لتأمين من يدخل بيت الله الحرام .. فهذه ليست قضية فردية بل هي قضية عامة أيضا ، يقوم بها مراقبون لا يسمحون بإشاعة الفوضى أو الفتنة أو الشغب أو الترويج لمنهج معين داخل الحرم لأن الله سبحانه وتعالى يقول في شأن بيته الحرام :

﴿ وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ الْحَاجَةَ يُظْلَمُ إِنَّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾

(من الآية ٢٥ من سورة الحج)

أى كل من يقاتل في الحرم لابد أن يؤخذ بعداب أليم في الدنيا والآخرة .. عذاب أليم في الدنيا بأن يقتل ولا يقاتل .. أى لا يقبل منه استسلام .. إنما يقتل لأنه عبث بأمن الحرم .. بينما كان يجب عليه أن يحميه ويحترمه لأمر الله .. أما في الآخرة فالله يعذبه عذاباً أليماً يتناسب مع بشاعة جريمه .. الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَابِيْلَ لِلنَّاسِ وَأَمْتَحَنَّا مَا وَلَّتْ خُدُوْمُ اِنْ كَانَ اِنْ رَبِّهِ شَدِيْدٌ مُّصْلِّى ﴾

(من الآية ١٢٥ من سورة البقرة)

ومعنى قوله تعالى (مشوية للناس) أى يثوبون إليه ،

يرجعون إلى الله ، وما داموا يرجعون إلى الله .. ويظل العبد يعيش في مناسك الله وتشريعاته فترة من الزمن ، إلى أن تألف نفسه الطاعة .. فإذا ألفت الطاعة إستمرت عليها .. وإذا عاد إلى بلده استحينا أن يراه الناس على معصية ..

ومن شعائر الله في الحج والعمرة أشياء تتعلق بقضايا الكون .. فأنت بعد الطواف تسعى .. هذا السعي بين الصفا والمروة - وما ربوتان تسعى بينهما سبعة أشواط مثل الطواف - .

الله تبارك وتعالى يريدنا أن نستحضر في هذه الشعيرة قضية إيمانية .. هي أن الله خلق هذا الكون وجعله يعمل بالأسباب ، فالذى يأخذ بأسباب الحياة - مؤمنا كان أو كافرا - . ويتقىها تعطيه ، ولكن سبحانه يريد أن يلفتنا في نفس الوقت إلى أن هناك خالق الأسباب وهو سبحانه فوق الأسباب .. فالله يرزق من يشاء بحساب وغير حساب ، إنه سبحانه يدللك على أسباب الرزق .. إن أحستها أخذت ، وإن لم تحسنها لا تعطيك .. ولكن إياك أن تفهم أن الأسباب وحدها هي التي تعطى .. أنت تأخذ بالأسباب فإن شاء الله أعطتك ، ويجب أن يكون قلبك كله مع خالق الأسباب ..

وهناك فرق بين عطاء الله بالأسباب وبين عطائه المباشر .. في الحج الله يلفتنا إلى ذلك فيجعلنا نسعى بين الصفا والمروة لنتذكر قصة هاجر وإبنتها إسماعيل حينما جاء إبراهيم بها إلى هذا المكان .. الذي لا زرع فيه ولا ماء ولا وسائل حياة ..

في هذا المكان الحالى من وسائل إستبقاء الحياة ترك إبراهيم زوجته وإبنه الرضيع ليلفتنا إلى قضية كونية .. فعندما انطلق راجعاً أمسكت هاجر بزمام دابته وقالت لمن تركنا؟ فلم يجب إبراهيم .. فقالت هاجر : آللله أمرك بذلك ؟ فأشار إليها بنعم .. فقالت إذن لن يضيعنا ..

هذه هي القضية الإيمانية الأولى .. إن الله إذا أنزلك مكاناً فإنه لن يضيعك .. منها كانت الأسباب عاجزة عن أن تعطيك ..

ماذا فعلت هاجر عليها السلام ؟ إنها نزلت على حكم الله وإرتضته .. ثم ماذا حدث ؟ عطش إبنتها الرضيع وأرادت أن تسقيه .. في هذه الحالة يجب أن تأخذ بالأسباب وتحث عن عين ماء .. أو بئر أو قافلة تسير ومعها ماء وعليها أن تبذل الجهد وتتصعد على ربوة المروءة لتكشف ما حولها عنها تجد شجرة أو طيراً أو ناساً .. وأسرعت هاجر إلى ربوة الصفا .. فلم تجد ماء ولا أثراً للحياة .. فرجعت إلى ربوة المروءة من جديد فلم تجد شيئاً .. وعادت إلى الصفا ثم المروءة .. وأخذت تهرول إلى أن تكرر ذلك سبع مرات ، ولكنها لم تجد شيئاً .. وكانت هذه المروءة بين الصفا والمروءة هي أقصى ما تستطيعه قوتها .. ولم تكن تستطيع أن تزيد عليها فجلست بعد أن نفذت أسبابها ، بجوار طفلها .. وإذا بقدم الطفل الصغير تضرب الأرض فينبع منها الماء !

هاجر أخذت بالأسباب ولم تعطها .. والوليد الذي لا حول

له ولا قوة تضرب قدمه الأرض برفق فينبع الماء .. لو أنها وجدت قافلة تمر أو عين ماء قريبة لما اكتملت هذه القضية .

لقد أراد الله بهذه القضية أن تكتمل فصوتها ليلفتنا إلى هذه القضية الكونية وهي إنه إذا إستنفذت أسباب الأرض فلا تيأس .. فإن الله سبحانه لن يتركك .. فهو القائل وقوله الحق والصدق :

﴿ أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضِطَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ الْأَسْوَءَ وَيَجْعَلُ كُلَّ
خَلْقَةَ الْأَرْضِ بِ﴾

(من الآية ٦٢ من سورة النمل)

إن هذا ثبيت للإنسان المؤمن .. لا ييأس أبدا .. لأن له ركنا شديدا يأوى إليه .. إن الكافر - والعياذ بالله - إذا يئس يتحر .. أما المؤمن إذا يئس فإنه يعلم أن له ربا لن يتركه . إن كل حاج يرجع وهذه القضية قد استقرت في قلبه .. قضية هاجر وإنها إسماعيل .. وأسباب خالق الأسباب .. ذلك ليستقبل المؤمن كل أسباب الحياة بثبات وهمة وعدم يأس ..

إن الله يحب من عباده المتوكلا الذي لا يترك يد الله الممدودة له بالأسباب . فإن لم تعطك .. فسيعطيك رب الأسباب ..

الاختيار العام .. والتكليف الخاص

ويجب أن نلتفت إلى أنه في الحج يخرج الإنسان نفسه من منطقة الإختيار العام إلى منطقة التكليف الخاص ، فلا يتتجاوز مكاناً من الأمكنة حددها له الشارع إلا وهو مُحرم ، ومعنى الإحرام هو التخلّى عن غرور إختياراتك إلى مرادات الله الإيمانية ..

هناك مثلاً ميقات .. والميقات هو المنطقة التي تفصل بين الحرم والحلل .. فأنت خارج الميقات لا تحكمك قوانين خاصة ولا تقييد حركتك .. ولكنك داخل الميقات فأنت في منطقة الحرم التي لا يمكن أن تدخلها إلا إذا كنت محراً ..

والإنسان إذا أراد أن يحج أدخل نفسه في تكليف جديد .. والعجيب أن مناطق الميقات لم تحدد تحديداً هندسياً .. بحيث تكون أبعادها متساوية عن الكعبة ، إن قطر الميقات لسكان الحجاز - الذي فيه البيت - هو أطول أقطار المواقيت . فمن يدخل للحج من المدينة عليه أن يحرم من منطقة أبيار على .. والمسافة بين منطقة أبيار على وبين مكة ٤٥٠ كيلومتراً .. بينما تجد ميقات رابغ ٢٠٤ كيلومترات .. والجحفة ١٨٧ كيلومتراً .. والعراق ٩٤ كيلومتراً ويلملم ٥٤ كيلومتراً ..

إذن تحديد المواقيت ليس عملية هندسية ، لتعلم أن القضية

ليست قضية هندسية .. وإنما هي مسألة خاضعة لطلاقة القدرة لإرادة الله .. فمن العسير على العقل أن يعرف الحكمة من التكليفات .. فمثلاً نحن نتوظّل للصلوة .. بعض الناس يقول لك إن الوضوء نظافة أو طهارة .. نقول له ليس الأمر أمر نظافة ولا أمر طهارة .. لأنك إذا لم تجد الماء تتيّم بالتراب .. فلا تقل إن الوضوء نظافة .. لأن الله سبحانه وتعالى له حكم لا نعلمها ..

إننا إذا مررنا بالميقات انتقلنا من منطقة الإختيار إلى منطقة التقييد .. لا نلبس محيطاً .. لا نتعطر .. لا نحلق ذقوننا ولا رؤوسنا .. لا نجادل .. كل هذه الأوامر خاصة بمن تعدى الميقات .. فمن تعدى فقد قيد نفسه ..

الله سبحانه وتعالى وهو المكلف وضع سلوكاً خاصاً للحج .. وأنت الذي أدخلت نفسك في هذه التكليفات ، وذلك تدريب لك على تقييد نفسك واختيارك لترضى الله من أجل هذا فإنه يهبك من المغفرة ومن الرضا الكبير .. خصوصاً إذا أقبلت على مناسك الحج إقبالاً إيمانياً .. بمعنى إنك لا تطلب أن تدرك الحكمة أولاً من كل فعل كلفت به .. بل إفعل الفعل لأنك آت من الله .. فإذا فعلته فسيملاً قلبك الاطمئنان والراحة والرضا .. وهذا هو الفرق بين تكليف البشر للبشر وتکلیف الحق للخلق ..

إذا كلفك مساوٍ لك فأنت تسأل لماذا أفعل هذا الشيء؟ .. ولكن بالنسبة لله .. فإنك تأخذ التكليف بالطاعة بمقدار ثقتك

في علمه وحبه لك .. لا تسأل لماذا أفعل ؟ ولكن تسأل إذا كان الله هو الذي قال .. فالله لا يريد لنا إلا خيرا ولا يقضى إلا بالخير .. والخير كلما قصر فكرك البشري عن إدراكه .. كان أضخم وأكبر .. لأن الخير في هذه الحالات أكبر من أن تدركه أنت ..

الله جل جلاله حينها يخاطب خلقه لا يخاطبهم بالتكليف .. لا يقول لهم إنفعوا كذا ولا تفعلا كذا .. وإنما يقول يا أيها الناس آمنوا .. ومن آمن منهم يكلفه .. ولذلك تجد كل تكليف مسبوقا في القرآن الكريم بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » .. لأنك مادمت قد دخلت مع الله في عقد إيماني فقد آمنت بأن الله تبارك وتعالى له صفات الكمال المطلق .. فيه كمالات لا تنتهي .. فإذا تلقيت الأمر الإيماني ولم تفهمه ونفذته .. فإنك ستتجدد له في صدرك راحة وفي نفسك صفاء .. وتتجدد أن تجاوilyك معه يشمل كيانك كله .. فخطاب المؤمنين بالأحكام وتنفيذها .. هو تسليم بأنك آمنت بإله حكيم .. لا يأمرك إلا بشيء يعود عليك بالنفع التام ..

وتشريع الله تستجيب له ملكات في النفس نعرفها .. وملكات في النفس لا نعرفها .. وهو سبحانه يشرع من واقع حال يراه .. فلا شيء يغيب عن علمه .. ولكنك أنت لا تكتمل عندك الصورة .. أبو بكر رضي الله عنه .. حينها عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد معجزة الإسراء والمعراج ، وعندما اختلف الذين سمعوا بذهاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس .. وعروجه إلى السماء

السابعة .. وكان هؤلاء المستمعون بين مصدق ومكذب ..
ما زال قال أبو بكر؟ هل ناقش القضية؟ هل عرضها على
عقله؟ وناقشها مثلما فعل الكفار الذين قالوا للرسول صلى الله
عليه وسلم «أتدعى أنك أتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها
أكباد الإبل شهراً» .. إنهم حسبوها حساباً مادياً .. وهذه
أمور غريبة لا تخضع لهذا الحساب ..

أبو بكر - رضي الله عنه - لم يأخذها بهذا الحساب .. بل
قال : إن كان قد قال فقد صدق .. إنه رب الصدق على أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال .. وليس على قبول
العقل للقضية .. قال أبو بكر : إذا كنت أصدقه بخبر السماء
يأتيه أفلأ أصدقه في أنه انتقل من مكة إلى بيت المقدس وعاد في
ليلة؟

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان
يرى الناس يقبلون الحجر الأسود .. وهو قضية تقف فيها
العقول ماذا قال؟ قال : والله إنني أعلم أنك حجر لا تضر
ولا تنفع .. ولو لا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ..
هذا هو التسليم الكامل .. إنه لا يأخذ الأمور الشرعية
بمقاييس العقل .. بل يأخذها بأمر المشرع وهو الله سبحانه
وتعالى ..

ومن الم納سک التي يقف العقل أمامها طويلاً . عرفات ..
وهو ما سوف نتناوله في الفصل التالي ..

الفصل الثالث

إلى عرفات الله



بعد أن تدخل مكة محظياً تطوف
وتسعى .. وفي اليوم الثامن من ذي الحجة
يتوجه الحجاج إما إلى منى حيث يبيتون
ليلتهم ثم يتوجهون إلى عرفة في اليوم
الناسع من ذي الحجة .. وإنما يتوجهون
مباشرة من مكة إلى عرفة ..

وعرفة - كما نعلم - في موقع المناسب ليست في داخل
الحرم .. وإنما هي خارجه .. لذلك وقف العقل فيها وقفه
طويلة .. والعقل الإيمان كلما كشف الله له سراً أو قفه عند سر
آخر .. ليظل الغيب غير خاضع لميكانيكية التشريع .. وإنما
خاضع لطلاق قدرة المشرع ..

إن الحج يمر بمراحل متعددة .. تبدأ باختيار الإيمان أولاً ..
وبالشهادة أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. بهذا
الاختيار الإيماني يدخل الإنسان في نطاق التكليف .. الذي
يشترك فيه كل المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ..
من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن
استطاع إليه سبيلاً .. وقلنا إن مناسبات الحج تخربنا من منطقة
الاختيار العامة إلى منطقة تكليف خاص ، فلا يتجاوز الميقات
عند حدود الحرم إلا محظياً .. ولا يدخل الكعبة إلا ويؤدي
النسك المطلوب منه طوافاً وسعيًا .. وعندما يأتى موعد وقفه
عرفة يخرج من مكة إليها ..

إن الإنسان باعتناق الإسلام يدخل نفسه في تكليف ، فإذا

أراد أن يحج أدخل نفسه في تكليف آخر خاص بالحج ، فإذا
أراد أن يتم الحج - والحج عرفة - خرج من منطقة الحرم إلى
منطقة خارج حدوده ..

وإذا أردنا أن نحصر الأماكن المحرمة بالنسبة للحجاج نجدها
أربعة : المسجد الحرام ، والبيت الحرام ، والبلد الحرام ،
والمشعر الحرام - المزدلفة - الذي يتوقف الحجاج عنده وهم في
طريق عودتهم من عرفات .. ليجمعوا الجمار التي سيرجمون بها
إبليس ، ويصلون صلاة المغرب والعشاء فيها جمع تأخير ..
قبل أن ينطلقوا إلى مني للبيت إستعدادا لرمي الجمار ، وإلى
مكة لأداء طواف الإفاضة ..



النجليات في عرفة



وفي عرفات تتجلى فيوضات الله على عباده .. وهي فيوضات كثيرة لا تعد ولا تحصى .. فالتجلى بالمحفرة للناس جميرا يكون في هذه المنطقة .. لماذا ؟ لفهم أن الله إذا تجلى بالمحفرة في منطقة غير الحرم .. فإن هذا التجلى له أسبابه .. لأنك في عرفة قيدت اختيارك تقيدا تماما بحيث لا يصبح لك إختيار زمانا أو مكانا .. إن كل من في عرفة في هذا اليوم .. في هذه الساحة الواسعة مقيد بأن يكون في هذا المكان في وقت معين .. فلابد أن تغرب عليه الشمس وهو موجود في عرفات ..

إن الله يريد أن يلفتنا إلى أنه كلما كان تقييده للإنسان أكثر .. كان الجزاء أكبر .. وكما قلنا فإن كل العبادات قيدت زمانا - كالصلوة والزكاة - ماعدا وقفه عرفات فقد قيدت زمانا ومكانا ..

يقول الله تبارك وتعالى فيما ينبغي أن يكون عليه الحاج وهو يؤدي مناسك الحج :

﴿ الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ
وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ ﴾

(من الآية ١٩٧ من سورة البقرة)

لقد قيد الله شعائر الحج زمانا .. فلا تستطيع أن تحج في
أى يوم من أيام السنة .. وقيده مكانا بمكة وعرفات ومنى ..
فبدون أن تذهب إلى مكة وعرفات ومنى لا يكون حجك
كاملا .. وإن كانت هناك مناسك يصح فيها الفداء .. وهذا
ما ستحدث عنه في فصول قادمة ..

الله سبحانه وتعالى يريد أن يدربك على أن تكلف نفسك
وتقيدها بأوامره .. لتكون جديرا بما يسأله عليك من نعم في
هذا اليوم الأغر .. إنه يهلك من المغفرة والرضا الكثير . حتى
إنه قيل في الأثر أن الشيطان لم يوجد في وقت من الأوقات ،
ولا في مكان من الأمكنة أغيظ منه من هذا الموقف .. لماذا ؟
لأن حظ الشيطان أن يكون الإنسان عاصيا .. فإبليس عصى
ربه بعدم السجود لأدم .. ولذلك فهو يريد أن يكون الناس
كلهم عصاة .. فإذا أحس إبليس بأن إنسانا تحدثه نفسه
بعصبية أسرع يغويه ويخيبها إلى نفسه حتى يقع فيها .. فيفرح
إبليس لأن الناس عصوا مثلما عصى .. فتشاء قدرة الله
 سبحانه وتعالى أن يجعل يوم عرفة يوما يحيط فيه كل أعمال
إبليس وينثر رحمته ورضوانه ومغفرته وتوبته على أهل عرفة
جمعا .. جزاء لهم على ما قيدوا به حركة حياتهم في ذات اليوم
طبقا لاختيارات الله سبحانه وتعالى ..



يوم غفران الذنوب

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا اليوم :

(إن الله تجلى على أهل الموقف (أى عرفة) فغفر الله لأهل عرفة وغفر الله لأهل المشعر الحرام ويتحمل الله عن الجميع تبعات ما عملوا نحو العباد) . . . وذلك يقولون الحج المبرور يحيّب ما قبله . . أى يغفر الذنوب التي حدثت قبل الحج . . فيعود الإنسان كما ولدته أمه . .

ويختلف العلماء حول هذا السؤال : هل الحج يغفر كل الذنوب ما يتعلق منها بالله ، وما يتعلق بالناس . . أم إنه يغفر الذنوب المتعلقة بالله . . أى التي بينك وبين ربك . . أما الذنوب التي بينك وبين العباد فمن شرائط محوها أن تعيد إليهم حقوقهم وتستسمح من أساءت إليه . .

ولكن هناك رأيا آخر يقول : إن الله حين يتجلى بواسع رحمته يوم عرفات على أهل عرفات يغفر كل الذنوب . . فيما كان بينك وبين الله يغفره . . وما كان بينك وبين العباد يتحمله عنك . . ولذلك فإنه من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اللهم إغفر ذنوبي . . ما كان لك منها فاغفرها لى . . وما كان لغيرك فتحمله عنـي) . .

ويخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله غفر لأهل عرفة وأهل المشعر الحرام .. وتحمّل سبحانه الذنوب في حق العباد ..

ويجب أن نوضح أن عرفات تنطق بمنطقين .. مرة نقول عرفات كما وردت في القرآن الكريم .. ومرة ننطقها عرفة .. كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الحج عرفة) ..

وعرفات أصبحت على المكان الفسيح الذي يجتمع فيه الحجاج في التاسع من ذي الحجة .. ولا تظن أن عرفات جبل .. فإذا سمعت (جبل عرفات) كما يقول الناس .. فإفهم إنه الجبل المنسوب إلى منطقة عرفات وليس الجبل هو عرفات ..

إن كثيراً من الناس يظنون إنه من تمام الحج أن يصعدوا إلى الجبل المسمى بجبل الرحمة .. والذى وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .. وأن لم يصعد فكأنه لم يحج !! نقول لهم لا ليس هذا صحيحـاً عرفة هي الوادى الفسيح الذى يطل عليه الجبل ، والجبل أخذ اسمه لأنـه مجاور لهذا الوادى .. فالجبل هو المنسوب لعرفات .. وليس الوادى هو المنسوب للجبل ..

وقد ورد في كلمة عرفة أقوال كثيرة .. فهناك فرق بين أن

يكون الإِسْمَ وَضْفَأً .. ثُمَّ يَصِيرُ إِسْمًا وَأَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا .. وَمِنْ أَوْلِ الْأَمْرِ إِذَا كَانَ الْإِسْمُ عَلَيْهَا فَلَا ضَرُورَةٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى .. فَقَدْ تَسْمَى إِنْسَانًا بِاسْمِ سَعِيدٍ وَهُوَ قَمَةُ الشَّقَاءِ .. هَذَا إِسْمٌ عَلَمٌ وَهُوَ لَا يَرْتَبِطُ بِمَعْنَى ..

حَقِيقَةُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَحْبُّونَ أَنْ يَتَفَاعَلُوا بِالْأَسْمَاءِ .. مِنْهُمْ مَنْ يَسْمَى إِبْنَهُ سَعْدًا عَلَى أَمْلَ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا .. وَالْعَرَبُ كَانُوا يَتَفَاعَلُونَ بِالْأَسْمَاءِ .. كَانُوا يَسْمُونَ فَلَاتَا صَخْرًا لِيَكُونَ صَخْرًا أَمَامَ أَعْدَائِهِ .. وَيَسْمُونَهُ كَلْبًا حَتَّى لَا يَجْرُؤُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ..

وَقَدْ قِيلَ لِلْعَرَبِ أَنْتُمْ تَحْسِنُونَ أَسْمَاءَ عَبِيدِكُمْ فَتَقُولُونَ سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَفَضْلٌ ، وَتَسْيَئُونَ أَسْمَاءَ أَبْنَائِكُمْ وَتَقُولُونَ صَخْرٌ وَكَلْبٌ .. قَالُوكُمْ نَعَمْ .. لَأَنَّا نَسْمَى أَبْنَاءَنَا لِأَعْدَائِنَا .. وَنَسْمَى عَبِيدَنَا لَنَا !



سبب التسمية



كلمة عرفة أصبحت الآن علما .. ولكن لسبب تسميتها أكثر من قصة .. فقد قيل إن آدم وحواء حينما هبطا من الجنة إمثالا لأمر الله هبط آدم في مكان ، وحواء في مكان آخر وذلك كما جاء في قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَهِيَّطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضًا كُوَلَّ يَعْصِيْ عَذَّابَ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنْهُنَّ هُدَىٰ فَنِّيْ أَتَّسِعُ هَذَاٰيَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿١٠﴾

(سورة طه)

لقد هبط كل منها - كما قلنا - في مكان منفصل .. وظل كلامها يبحث عن الآخر .. حتى تلاقيا في هذا المكان فسمى عرفة ..

والحديث عن آدم وحواء ولقائهما في عرفة يقتضي إيضاحا .. فلك أن تصور حال آدم .. وقد هبط في عالم واسع غريب بمفرده ، ينظر حوله فلا يجد بشرا مثله .. فإذا رأى بشرا فسيقابلهم بإشتياق شديد ، ومن هنا فرق الله بين آدم وحواء .. ليبحث كل منها عن الآخر بحث إشتياق ، فإذا إلتقيا تمسك كل منها بالآخر لا يفلته .. وفي قول آخر أن آدم

قالت له الملائكة بعد أن نزل إلى الأرض في هذا المكان :
إعترب بذنبك وتب إلى ربك .. فقال كما يروى لنا القرآن
ال الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّنَا أَظْلَمُنَا أَنفُسُنَا وَأَن لَمْ يَغْفِرْ لَنَا وَتَرَحَّمَنَا الَّذِي كُونَنَا ﴾
﴿ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴾

(سورة الأعراف)

ويكون المعنى أنه (عرف) ذنبه (وعرف) وكيف يتوب ..
ونعود لخليل الله إبراهيم عليه السلام .. وكيف عَرَفَ الله
مكان عرفة ..

لقد رأى إبراهيم عليه السلام في الرؤيا إنه يذبح ابنه
إسماعيل ، وهى مسألة شاقة على النفس لأنه ابنه الوحيد ولأنه
سيذبحه بيديه .. وجلس إبراهيم في هذا المكان يدبر فكره
ويتروى ، ولذلك سمي يوم عرفة بيوم (التروية) .. وعندما
تأكد أن الرؤيا حق .. وعرف أنه لا بد أن يذبح ابنه سمي
المكان الذى عرف فيه حقيقة الرؤيا (عرفة) .

أو أن جبريل كان يعلم إبراهيم عليه السلام مناسك الحج
في هذا المكان .. ويقول له عرفت ؟ فيرد إبراهيم عرفت وقد
يكون بمعنى إن الإنسان يعرف فيها ربه ، ويأتى إلى هذا المكان
وكل واحد يعرف ذنبه ويستغفر الله في ذل وخضوع ..

وعلى كل حال فإن اختلاف المعانى ، واختلاف الملابسات

التي أدىت إلى هذه التسمية بيوم عرفة أو يوم التروية ..
لا تعارض بينها .. فمما لا شك فيه أن هذا اليوم الكريم هو
اليوم الذي يباهى الله بعباده قائلا لهم :

(إنظروا إلى عبادى تركوا كل ما يملكونه وجاءونى شعثا غبرا
يطلبون مغفرة ورحمة . أشهدكم أننى قد غفرت لهم) ..

في عرفات نلاحظ التساوى الكامل والوجود المكتمل لحجاج
بيت الله الحرام جمِيعاً لا يتخلَّف واحد منهم .. في وقت واحد
ينتهي بغرروب شمس يوم عرفة .. وهذا هو المكان الوحيد
الذى يجتمع فيه الناس على هذه الصورة .. وهذا التوقيت ..

نحن ندخل مكة على رحلات مختلفة وفي أوقات مختلفة ..
كل حسب موعد رحلته .. فوج يدخل قبل الحج بأسبوعين ،
وفوج يدخل قبل الحج بيوم واحد ، وفي رحلات العودة نعود
متفرقين .. كل أيضاً حسب موعد رحلته ، وحتى في الإقامة
في مكة تتفاوت قدرة الناس .. فهذا يسكن في شقة فاخرة ..
وهذا يسكن في حجرة .. وهذا يسكن في جزء من حجرة
وهذا يسكن في فندق ، وذلك يفترش الأرض إلى آخر ما توفره
امكانيات كل شخص له .

ولكن في عرفات الموقف مختلف تماماً .. المكان يجمع كل
الأجناس .. وكل الألسنة وكل اللغات .. وكل المقامات وكل
الأقدار ، والمساواة هي الطابع بينهم جميعاً .. شعثا غبرا ..
لا فرق بين غنى وفقير ، وعظيم ومستور الحال .. الجميع

هندامه غير منتظم .. ومظهره غير مرتب . متعب مرهق . فالكل متساوٍ في موقف الذلة والخضوع .. لا يوجد تعالى من أحد على أحد ولا تفاضل بين إنسان وآخر .

انك لن تجد إنساناً في عرفة يقول أنا فلان .. أو يحاول أن يباهـى بمكانـته الدـنيـوـية .. بل الكل في خضـوع وذـلة الله تبارـك وتعـالـى .. يتسـابـق كلـمـنـهـمـ ليـعـلنـ خـضـوعـهـ للـلهـ وـخـشـيـتـهـ مـنـهـ .. وـكـأـنـ الـخـيـرـ لـاـ يـعـمـ النـاسـ إـلـاـ إـذـاـ إـسـتـوـواـ جـمـيـعـاـ فـيـ الـخـضـوعـ وـفـيـ الـذـلـةـ اللـهـ .. وـلـمـ يـحـاـولـ حـتـىـ وـاحـدـ مـنـهـ أـنـ يـقـولـ إـنـ أـحـسـنـ مـنـ غـيرـهـ ..

في هذا اليوم الذي ننفض عن أنفسنا الإستعلاء وطغيان النفس يتجلـى الله سـبـحانـهـ وـتـعـالـىـ عـلـيـنـاـ بـالـمـغـفـرـةـ .. لأنـ الـذـيـ يـجـعـلـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـ اللهـ حـجـابـ هوـ الـلـجـجـ الـذـيـ يـحـدـثـ .. وـالـلـجـجـ مـعـنـاهـ أـنـ نـكـونـ فـيـ مـجـمـعـ وـاحـدـ وـكـلـ وـاحـدـ مـنـاـ يـرـىـ نـفـسـهـ أـحـسـنـ مـنـ غـيرـهـ ، يـرـىـ مـيـزـاتـهـ وـلـاـ يـرـىـ عـيـوبـهـ !ـ فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ الـعـظـيمـ نـعـرـفـ أـنـ مـاـ تـمـيـزـنـاـ بـهـ لـيـسـ مـنـ عـنـدـنـاـ .. وـلـكـنـهـ مـنـ عـنـدـ خـالـقـنـاـ .. فـيـ حدـثـ (ـإـسـطـرـاقـ)ـ الـعـبـودـيـةـ ..ـ حـيـنـئـذـ يـقـولـ الـحـقـ سـبـحانـهـ وـتـعـالـىـ :

(ـهـمـ أـهـلـ جـمـعـ يـسـتـحقـونـ مـغـرـقـ وـرـحـمـتـ) ..

إنـ الـلـجـجـ وـالـتـعـالـىـ وـمـحـاـولـةـ التـفـاضـلـ وـالـتـفـاخـرـ عـلـىـ النـاسـ هـىـ الـقـىـ تـرـفـعـ رـحـمـةـ اللـهـ ، وـلـيـسـ أـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ مـاـ حـدـثـ عـنـدـمـاـ خـرـجـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـيـخـبـرـ صـحـابـتـهـ عـنـ لـيـلـةـ

القدر فوجد إثنين يتشارحان فأنسها ، وهكذا حُرم الصحابة منها .. إذن فالجدل والخصومة والتشاجر تمنع هبات الخير عن المجتمع .. والجمع الذي يريد أن يستقبل فيوضات الله لابد أن يكون في متنهى الصفاء معا .. حتى تسجم كل الأجهزة مع بعضها البعض .. ويكون الإنسان صالحًا للتلقى عن ربه ..

في يوم عرفة يكثر الناس من الدعاء .. كل واحد في هذا اليوم العظيم يقف داعيا .. وسواء أكان الجو حارا أم مطرا .. فالكل واقفون ، والكل خاضعون ، والكل أذلاء لرب العالمين ..

في هذا الموقف تنزل الرحمة .. ويتجلى الله بالغفرة على أهل عرفة .. حتى لا يكون عليهم - بفضل الله - ذنب لأن الحج يجب ما قبله - كما قلنا - ومادمت قد وقفت لكل هذا ، ومadam الله قد تجلّ عليك بالغفرة فلا يجب أن تعود بعد عرفات إلى ما يغضب الله سبحانه .. لأنك لا تضمن أنه سيقيك في الدنيا .. ويفقسم لك الحج مرة أخرى في الأعوام القادمة .. ومادمت لا تضمن هذا فاعمل لأنحرتك وتمسك بالطريق المستقيم حتى تلقى الله في أي وقت وأنت مغفور الذنب ..

إغتنم فرصة الحج فإنه يظهرك من الذنوب .. ولا تستمع لوسوسة الشيطان أبدا .. ويكفيك من رحمة الله أنك انتصرت عليه .. فإن كان قد تسلل إلى نفسك في فترة ضعف ووقيعت في معصية .. فإن الله قد غفر لك بيوم إنكسار وخضوع وخشوّع هو يوم عرفة ..

وأعلم أن الشيطان لن يتركك ، لأنه كلما ازدلت إيمانا بذل معك الشيطان جهدا أكبر ليغريك بالمعصية .. سواء كان ذلك هو الشيطان الكبير الذي يشاغب ضمير الإنسان في عقائده باعتبارها قمة الإيمان .. ولذلك فهو تحتاج إلى الشيطان الكبير .. الذي يتفرغ لها ليعغرى الناس بالكفر والعياذ بالله ..

أما ذرية إبليس وهم شياطين الجن ومعهم شياطين الإنس فيتفرغون لما هو أدنى من إيمان القمة .. يتفرغون لإغراء الإنسان بالذنوب الأخرى مثل الزنا أو الرشوة أو السرقة أو غير ذلك .. هذا هو عمل ذرية إبليس .. أما إبليس نفسه - كما قلنا - فهو يدخل في قمة العقيدة ويحاول أن يثير الشك في نفسك .. في وجود الله ووحدانيته وقدرته .. ويظل يوسوس للإنسان ..





الأفاضة من عرفات

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿فَإِذَا أَفْضَلُمُ مِنْ عَرَقَتِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾

(من الآية ١٩٨ من سورة البقرة)

ما معنى أفضاض؟ حين تملأ كوبًا عن آخره يفيض الزائد على جانبيه .. إذن فالفالفاضس معناه شيء افترق عن الموجود بالزيادة ..

قوله تعالى : « فإذا أفضتم من عرفات » ذلك حكم مسبق بأن عرفات ستمتليء عند الخروج منها إمتلاء تراه فائضاً عن العدد المحدد لها فكأنه يفيض . وهذا حكم من الله في الحج ، وأنت إذا شهدت هذا المشهد ورأيت الحجاج وهم يفيضون من عرفات .. فكأنك ترى إناء قد امتلا وأخذ يفيض .. ولا تدرى من أين تأتي هذه الأعداد ولا إلى أين يذهبون ..

إن الذي ينظر إلى المسلمين وهو في عرفات .. يجدهم كتلا بشرية بلا نهاية .. فإذا فاضوا في مساء ذلك اليوم ، ونزلوا من عرفات .. فإنه يخيل إليك وأنت تنظر إليهم .. كأنهم سيل يفيض .. كتلا بشرية لا تستطيع أن تفرق بينها لأنها ترتدي نفس الملابس .. ويخيل إليك إنها تحوى نفس السمات ،

فكأنهم سيل متذلف .. هكذا تكون صورة الإفاضة من عرفات ..

إنك عندما تتأمل الناس المتوجهين إلى المزدلفة تتعجب أين كان كل هذا الجمع .. ترى الوديان تسيل بالناس .. تماما كالسيل العرم كتلة واحدة .. ثم تحدث إفاضة ثانية بعد الإفاضة من عرفات هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ فَاصْلَأَنَّاسُ﴾ .

(من الآية ١٩٩ من سورة البقرة)

ويجب على الحاج أن يكثر من الثناء على الله لتفضله عليه بتيسير هذه الرحلة المباركة .. وجاء بكم مؤمنين لبيت الله الحرام ثم تعودون .. وهذه مسألة تستحق الشكر والعرفان وأن يوالى الذكر .. لقوله تعالى : «إذ ذكروه كما هداكم» .. لأن هدايته لكم علمتكم أقصر طريق إلى الخير .. وعلمتكم الطريق إلى المغفرة .. ويسرته لكم مالا وصححة وسعيا .. ولذلك فإن هذه الهدایة من الله تستحق الذكر والشكر ..

ثم يقول الله تعالى : « وإن كنتم من قبله لمن الضالين » .. أي من قبل الإسلام لأنهم في الجاهلية كانوا يطوفون حول البيت عرايا .. وكل ما يفعلونه أنهم يصفقون ويصفرن .. ولكن الله تبارك وتعالى هداهم إلى الحج الصحيح الذي يغفر الذنوب ..

إلغاء إمتيازات قريش



الحق جل جلاله يقول : « ثم أفيضوا من حيث أفضى الناس » كلمة (ثم) تدل على البعدية .. فهل البعدية هنا معناها إنها بعد الوقوف بعرفات ؟ أم بعد المبيت في المزدلفة ؟

وقوله تعالى ثم « أفيضوا » حجة لمن يقول إنه لابد من المبيت في المزدلفة .. وهذه الآية نزلت في أئمة قريش الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أهل الحرم .. ويحاولون الحصول على تمييز عن باقى الناس .. ولذلك كانوا يفاضون هم أولا .. ثم بعد ذلك الناس بعدهم .. لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : (كلكم لأدم وأدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .. وهكذا ينسخ الله مسلك قريش في محاولة التمييز عن الناس .. بأنه ألغى أي تمييز لقريش على غيرها من العرب ..

بعض المفسرين يقول : « إن معنى من حيث أفضى الناس » .. أى من حيث أفضى إبراهيم عليه السلام .. لأن مناسك الحج كلها علمها الله لإبراهيم عليه السلام الذى علمها للناس ..

ولا استغراب في قوله تعالى (من حيث أفضى الناس) لأن إبراهيم عليه السلام وصفه الله بأنه أمة .. وكلمة الناس تطلق

على الإنسان الذي يجمع خصائص متعددة .. وقد وصف الله تبارك وتعالى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بصفة الناس .. بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حِسْدُونَ النَّاسَ عَلَيْهَا أَسْهَمُهُمْ مِنْ قَضَبِهِ ﴾

(من الآية ٥٤ من سورة النساء)

والرجل الذي ذهب للمؤمنين ليحذرهم من أن المشركين يستعدون لقتالهم .. نزل فيه قول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَوْكُمْ فَأَخْشُوهُمْ ﴾

(من الآية ١٧٣ من سورة آل عمران)

إذن فلفظ الناس يمكن أن يوصف بها فردٌ يجمع خصال الخير .. ثم يقول الحق جل جلاله : « واستغفروا الله » .. دليل على أن الإنسان منها حاول أن يرعى حقوق الله لابد أن تفلت منه أشياء . والاستغفار هنا مطلوب ..

وقوله تعالى : « إن الله غفور رحيم » أى أنكم ستجدون الله تبارك وتعالى غفوراً رحيمًا فيستجيب لطلبكم المغفرة ويغفر لكم .. ويعيدكم من الحج مغفوري الذنب ..

في هذه الليلة يجمع الحاج الحصى الذي سيترجم به إبليس من المزدلفة ويصلى المغرب والعشاء جمع تأخير .. ثم يتوجه بعد ذلك إلى مني ليترجم الشيطان .. وهذه لها قصة نفصلها في الفصل التالي ..

الفصل الرابع

رجم الشيطان



بوصولنا إلى منى تكون قد أدينا نصف
فريضة الحج .. ذلك أن للحج ركنتين
أساسين لا يتم إلا بهما ولا يجوز فيها فدية
ولا أى نوع من أنواع القضاء ..

الركن الأول : هو الوقوف بعرفات .
والركن الثاني : هو طواف الإفاضة . هذان هما الركنان
الأساسيان في الحج ، أما ماعدا ذلك فيمكّن فيه الفداء
والذبح ..

حين تتجه من المشعر الحرام إلى منى لنترجم الشيطان ، يجب
أن ننتبه لأمر مهم هو قصة إبراهيم وإبنه إسماعيل عليهما
السلام . قصة الإبتلاء المبين الذي ابتلى به الله سبحانه وإبراهيم
بأن رأى في المنام إن الله يأمره بأن يذبح إبنه إسماعيل . وكان
هذا ابتلاء عظيماً من الله سبحانه وتعالى لماذا ؟ لأن إبراهيم
شيخ كبير ، وابنه إسماعيل في عنفوان الشباب . وفي هذه
السن يحس الأب إن ابنه هو امتداد لحياته ويصبح فخوراً به .
كما أنه يعينه على مصاعب الحياة وبالإضافة إلى أن إبراهيمشيخ
كبير .. إمراته سارة عاقر ..

معنى هذا امتناع الأسباب أن تعطى لإبراهيم إينا آخر ،
وإن كان خالق الأسباب يستطيع أن يعطي ..

لقد أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم بذبح إسماعيل . ولو انه
أمر بقتله لكان أهون .. لأنه من الممكن أن يكلف بعض

الناس بقتل إسماويل بعيدا عن أبيه ، ومن الممكن أيضا أن يأخذ إبراهيم ابنه إسماويل على قمة جبل ثم يدفعه فلا يرى شيئا ..

ولكن الأمر هنا كان بذبح إسماويل .. أى انه سيأخذ السكين ويأخذ ولده وهو ينظر إليه . ثم يذبحه بيده ويسيل دمه حتى يفارق الحياة . عملية أليمة للنفس .. حتى ولو كان عنده من الأولاد الكثير فما بالك بابن واحد في مقبل العمر وأب شيخ كبير وأم عاقر !! إنه عمل لا يقوم به إلا من يحب الله حبا يفوق الدنيا وما فيها .. حبا أعلى من كل حب .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) ..

هذا هو اختبار الإيمان الذي تعرض له إبراهيم في هذه البقعة بالذات . الاختبار الذي يؤكد أن الله سبحانه وتعالى أحب إليه مما سواه .. ليس قوله ، ولكنه عمل ، ليس بمجرد الكلام .

أخذ إبراهيم ولده ليذبحه تنفيذا لأوامر الله .. ولم يرد إبراهيم أن يأخذ إسماويل على غرة . بمعنى انه يأخذه معه إلى الجبل ويفاجئه بالسكين وبالذبح .. بل أراد أن يخبره أولا ..

ويحكي القرآن هذه القصة فيقول في محكم التنزيل :

﴿ قَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَسَارِ أَنَّ أَذْبَحُكَ فَأَقْطُلُهُ مَاذَا تَرَىٰ ﴾

(من الآية ١٠٢ من سورة الصافات)

وهكذا أراد إبراهيم عليه السلام أن يعلم ابنه اسماعيل بما سيحدث .. وإسماعيل نبي فماذا قال عن ابتلاء الله .. قال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ يَابْنَتِ آفَعَلُّ مَا تُؤْمِنُ وَسَتَحْدُثُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(من الآية ١٠٢ من سورة الصافات)

وهكذا كان حب إسماعيل لله أكثر من حبه لحياته ولنفسه .
وانطلق الأب الشيخ المسن والإبن الشاب ومعهما السكين ..
ولكن هل يترك الشيطان طاعة الله تتم دون أن يفسدها ؟ طبعا
لا .. إن مهمته هي إفساد طاعة الله في الأرض ..

جاء الشيطان الكبير خليل الله إبراهيم ليفسد عليه إيمان
القمة ، جاء لإبراهيم ليقول له ما الذي تنوى أن تفعله
بابنك ؟ وما معنى أن تذبحه وأنتشيخ كبير تحتاج إليه ؟
وكيف تصدق هذه الرؤيا ؟ إنها كاذبة ..

ويحكي أن أحد العارفين تمثل له الشيطان في صورة صبي
يخدمه مدة طويلة .. وخرج الشيخ لصلاة الفجر ذات مرة ..
وكان الدنيا مطرة والأرض موحلة ، والشيطان المتمثل في

صورة صبي يحمل المصباح للشيخ . ويقوم ويقع في الوحل والطين ، فقال الناس هذا الرجل الكبير كيف يعذب هذا الولد الصغير ويخبرجه معه في هذا الليل المطير الموحّل .. والعارف بالله يقول لهم بكل بساطة دعوه يُشَقْ فإن الذي كتب عليه الشقاء هو الله . فكأن الله قدّف في نفس الشيخ أن هذا الصبي شيطان ..

إذن الشيطان لا ييأس من أى جزئية يدخل منها .. بل يحاول أن يدفع الإنسان إلى المعصية بأى وسيلة .. ولذلك فإن الشيطان لم يترك وسيلة مع إبراهيم وإسماعيل وهاجر إلا اتبعها .. عله يفسد طاعة من أعلى الطاعات وأكثرها ثواباً عند الله طاعة الإيمان **القِيمُ** ..

ويمجرد أن غادر إبراهيم وإبنه إسماعيل عليهما السلام البيت .. بدأ الشيطان مهمته وهو يقول لنفسه هذه محنة .. هذا ابتلاء عظيم .. فإن لم أستطع أن أفتتن هؤلاء في هذه المحنة .. فلن أستطيع أن أفتنتهم أبداً ..

وجاء هاجر وقال لها : أتعرفين إلى أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ فقالت ذهب به لبعض حاجته ، فقال لها الشيطان : إنه لم يذهب به لحاجته إنما ذهب به ليذبحه .. فقالت هاجر ولماذا يذبحه ؟ فرد عليها الشيطان : زعم أن ربه أمره بذلك .. فقالت : أغرب عن وجهي . مadam الله قد أمر فلا بد أن يطاع ..

إنصرف الشيطان عنها مدحوراً وأسرع ليلحق بإبراهيم وإبنه عليهما السلام .. وبدأ إبراهيم .. لقد حاول أن يمنعه من تنفيذ أمر الله .. فقال له : ما الذي أعلمك أن هذه الرؤيا من الله ؟ ربما كانت أضغاث أحلام ، وماذا يستفيد الله من ذبح إبنك ؟ لا تطع الأمر ولا فسوف تندم طول حياتك ، إذا قمت بذبحه فلن يفارقك وجه ابنك وهو يموت .. سيظل وجهه دائماً أمامك يعذبك طول حياتك .. وأنت شيخ كبير في الرابعة والثمانين لن ترزق ولداً بعده .. وظل يحاول مع إبراهيم .. ولكن إبراهيم لم يستمع إليه ..

ولما يئس من إبراهيم ذهب إلى إسماعيل وقال له : إن أباك سيدبحك ، فقال إسماعيل إذا كان الله قد أمره أن يفعل ذلك فليفعل ما أراد الله .. حينئذ حاول إبليس أن يمنع إبراهيم وإسماعيل من الذهاب إلى مكان الذبح .. وقد سمي فيما بعد (بجبل الكبش) ، لأنه الجبل الذي نزل عليه الفداء ..

حاول الشيطان أن يمنع إبراهيم عند الجمرة الكبرى في منى من الاستمرار في السير لتنفيذ أمر الله فأمسك إبراهيم بالجمرات السبع ورجم إبليس ، ولكن إبليس وذريته لم ييأسوا وتابعوا إبراهيم وإسماعيل عليهم يستطيعون أن يمنعوهما من تنفيذ أمر الله .. فرجهم إبراهيم وإسماعيل لينصرفوا ويبعدوا عنها ..

هذه هي قصة الرجم .. رجم الشيطان . ونحن مطالبون بأن نرجم الشيطان كما رجمه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ..

مَنْزُولٌ رَجْمُ الشَّيْطَانِ



لقد أراد الله سبحانه وتعالى بقصة إبراهيم وإسماعيل مع إبليس أن يعلمنا بعد أن وقفنا بعرفات وغفر لنا ذنبينا .. لكي نحافظ على هذه التوبية ، لابد أن نرجم الشيطان في أنفسنا رحمة معنوياً فلا نجعل له فيها مدخل ، إذا حاول أن يوسوس لنا بعصبية فلا نستمع إليه .. وإنما نرجمه بعصبياننا لزrogاته حتى يتبعنا ولا يكون له علينا سلطان .

أنت إذا أصغيت إلى الشيطان مجرد إصغاء .. فهذه أول خطوة من خطوات المعصية .. إنه يريد أن يستميلك لتستمع إليه .. فلا تترك له هذه الفرصة .. ولا تستمع لإنجواباته .. بل ارجمه على الفور بالعصبيان ..

بعض الناس يتسائل : نحن نرجم حجرا .. فما علاقة الشيطان بهذا الحجر ؟ وهل الشيطان موجود فيه ؟

بعض العلماء يقولون إن الشياطين تحبس في هذه الأحجار في أيام مني . ونحن نقول لهم سواء أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح .. فإنه اختبار كما قلنا للإيمان في القلب .. فعلة الأسباب الإيمانية ليست في أن نفهمها .. أو نعرف الحكمة منها .. ولكن علة الأشياء في أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بها .. إننا نقبل حجراً ونرمي حجراً .. والسبب في هذا أن

الله تبارك وتعالى أمرنا والواجب أن نطيع الأمر دون أن نحاول أن نفلسف الأمور بعقولنا الضيقة والعاجزة .. ذلك إنه مادام الله سبحانه وتعالى قد أمر .. فلابد أن هناك حكمة عرفناها أو لم نعرفها .. ذلك أن هناك أسرارا كثيرة في الكون لا نعلم عنها شيئا ..

ويريد الله سبحانه وتعالى أن نعرف إنه مادمنا قد أتمنا الحج - والحج مادام من حلال وقصد به وجه الله فهو مقبول ومبرور - فإن الشيطان لن يتركنا بمجرد غفران الذنب ، إنه يحاول أن يدفعنا في ذنوب ومعاصي جديدة .. وبمجرد عودتنا من الحج هو سيعمل على أن يفسد علينا الطاعة ويضع في نفوسنا المعصية ..

والله جل جلاله يريدنا أن نلتفت إلى أننا في الحج إنتصرنا على الشيطان .. بأن امتنعنا عن كل ما نهى الله عنه .. ليس امتناعا يشمل ما حرم الله في الأوقات العادية .. ولكن التحرير إمتد إلى بعض ما كان مباحا .. فكان التحرير زاد ورغم ذلك قدرنا عليه .. وقضينا مناسك الحج في ذكر الله والإنشغال بالعبادة والدعاء .. بمعنى أننا لستنا قادرين فقط على طاعة المنبه .. بل إننا قادرون على طاعات أكبر وأكثر .. فإذا تذكّرنا هذه الحكمة إلتزمنا تقوى الله بعد أداء مناسك الحج .. وعرفنا أننا قادرون على الطاعة فالالتزام بها .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَسِكَةَ حَمْزَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُوْدَةِ ابْنَاءِ كُوْهُ﴾

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فِي النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا تَنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٣٠﴾

(سورة البقرة)

إن الله سبحانه وتعالى يريدنا لكي لا نضل ولا نحرف ،
أن نذكره دائمًا بعد أداء فريضة الحج كما نذكر آباءنا على
التبعاد .. أي وهم بعيدون عننا .. أن نذكر الله سبحانه
وتعالى .. لأن هذا هو التلاقي الذي تنعدم فيه كل الأهواء
 وكل الإنتماءات ..

إن الحق تبارك وتعالى يريد أن يقرب من خلقه ما يجعل
حركاتهم تتساند ولا تتعاند .. فيجب أن يكون ذكرنا لله أشد
من ذكرنا لأبائنا .. لأن الآباء منها طال بهم العمر إنthey
وماتوا .. والله أزلى لا يموت .. وإذا كان الآباء هم السبب
المباشر في قدمونا إلى الدنيا .. فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي
أوجدنا من عدم ، وخلقنا من عدم .. فالخلق يُرُدُّ إلى
الخالق . ونحن مجرد أسباب .. فلا بد أن نذكر الأصل في
الإيجاد .. وهو الذي أوجد من عدم أكثر مما نذكر الأسباب ..

بعد النجاح الذي حققه إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم
السلام وصمودهم أمام البلاء .. حدث الفداء .. كما يروى
القرآن الكريم :

﴿ وَقَدَّيْتُهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾١٤٧﴿ وَرَكَعْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ
﴿ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾١٤٨﴿ كَذَلِكَ بَخْزِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾١٤٩﴾

عَبْدَنَا الْمُؤْمِنِينَ ⑩ وَبَشَّرَنَا بِإِسْحَاقَ تُبَيَّنَ مِنَ الصَّالِحِينَ ⑪

(سورة الصافات)

إذن ساعة أمر الله إبراهيم أن يذبح ابنه لم يكن عنده إلا إسماعيل وبشر بإسحاق بعد ذلك .. ورغم شدة الإبتلاء فإن إبراهيم وإسماعيل سلما الأمر لله واستجابا له .. ولذلك وصف الله إبراهيم بأنه حليم أواب ..

إن هذا يلفتنا إلى أننا لو استقبلنا كل حكم من الله بالرضا نأخذ ثواب الطاعة لأمر الله .. وفي نفس الوقت فإن الله تبارك وتعالى يرفع عنا القضاء .. وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .. والله جل جلاله يقول :

فَلَمَّا أَشْكَلَ أَوْتَلَهُ لِلْجِنِّينِ ⑫

(سورة الصافات)

أى بدأ التنفيذ فعلا .. وأمسك إبراهيم بالسكين ليذبح ابنه .. ولكن السكين لم تذبح .. لأن السكين لا تذبح بذاتها ولكن بأمر الله لها .. فكما قال الله تبارك وتعالى للنار التي ألقوا فيها إبراهيم عليه السلام ..

فَلَنَا يَنَارٌ كُونِي بَرَدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ⑬

(سورة الأنبياء)

فإنها لم تحرقه .. كذلك أمر السكين لا تذبح فلم

تدبّح .. وفي ساعة الوفاء بالأمر نادى الله سبحانه إبراهيم كما جاء في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَنَدِينَاهُ أَن يَأْتِ إِبْرَاهِيمَ ۖ قَدْ صَدَقَتْ آرْجُونَ ۚ ﴾

(الآية ١٠٤ وبعض الآية ١٠٥ من سورة الصافات)

إن الله سبحانه وتعالى يريد من خلقه أن يؤمنوا بحكمة أوامره .. وأن يقبلوا على تنفيذها برضاء . فإذا أقبلت على تنفيذ الأمر بالرضا يرفع الله قضائه .. ولذلك أحفظ هذه الآية جيداً وتذكرها وأنت في مني .. حتى تعرف إنه في كل أحداث الحياة التي تصيب الإنسان لا يرفع الله قضائه إلا إذا رضى بالقضاء من إبتنى به .. فإذا رأيت قضاء قد طال على مقضى عليه كمرض لا يشفى رغم كل وسائل العلاج ، أو إبتلاء في الأولاد أو المال ولم يرفع رغم طول الزمن .. فأعلم إن المبتلى غير راض بقضاء الله ومترنم به .. وساعة يرضى ويسلم بحكمة القضاء .. يرفع عنه ..

وابراهيم صدق الرؤيا ، ومadam قد صدقها برضاء نفس وقبول وتسليم بحكمة الله سبحانه فيما يأمر به .. رفع القضاء عنه وقيل له لا تقتل إبنك .. وأق الفداء بكبش نزل من السماء فكان الله تبارك وتعالى هو الذي فدى إسماعيل بهذا الكبش .. ليس هذا فقط ، ولكن الله سبحانه وتعالى بدلاً من أن يميت الإبن الوحيد لإبراهيم وهو إسماعيل .. بشره بغلام ثان هو إسحق !

إذن فالذى يقبل من الخلق على أوامر الحق الغيبية .. التى لا يعلم لها حكمة ثقة منه في حكمة الله سبحانه ، يكون جزاؤه كبيرا .. وكلما كان الحكم أبعد عن تصور العقل .. كان الإيمان أقوى في الصدور .. والذين يمتنعون من الخلق عن أشياء حرمتها الخالق ، لأنهم لا يعرفون الحكمة .. فإذا ظهرت الحكمة وعرف الضر الذى يصيب الإنسان منها إمتنعوا عنها .. هؤلاء لا يمتنعون عن إيمان بأمر الله .. ولكن عن إيمان بالطلب أو العلوم أو غير ذلك ..

ولابد أن نعرف أن هناك فرقا بين تكليف الخلق للخلق ، وتکلیف الخالق لخلقه . تکلیف الخلق للخلق لابد أن نعرف حكمته لتنفيذها .. ولكن تکلیف الخالق للخلق تنفذه إيمانا بحكمة الله سبحانه وتعالى فيها شرع .. وكل شيء جاء من المشرع وتقف عقولنا عن إدراكه فتحن تنفذه إيمانا بحكمة الله .

الإمام علي رضي الله عنه .. ساعة تكلم عن المسح على الخفين .. قال : لو أن المسألة تخضع للعقل .. لكان المسح على باطن القدم أولى من المسح على ظاهره .. لأن باطن القدم هو الذي يتعرض للإتساخ .. ولكن العملية هي إعداد النفس للإقبال على إله يريده أن تقبل عليه بالطاعة ، ولا تستبيح لنفسك أن تدخل على الله سبحانه وتعالى بأى نوع من الجدل . فالله سبحانه لا يسأل لا عما يفعل ، ولا عما يأمر .

إنك حينما تأق لترجم الشيطان فأنت في الواقع تريد أن تسد عليه المداخل التي يدخل منها إلى نفسك .. سواء في قمة عقيدتك بترجم الشيطان الأكبر ، أو في فروع عقيدتك بترجم الشياطين الصغار .. وتقوم بترجم الشيطان سبع مرات . كل هذا أمر حسنى مناسب لماديتك .. ولكن هناك حكمة للأمر يجب ألا تخفى عليك هى أن الله سبحانه وتعالى يريد منا بعد أن أدينا مناسك الحج أن نتقبل قضاءه كله بالرضا مهما بدا لنا .. وأن نعلم أن ما قضى الله به هو الخير ..



الطاعة والعقل



والحوار بين العقل والطاعة دائم ومستمر في الحج .. عمليات قد تقف فيها عقول الناس وهى تؤدى مناسكه من طواف وسعي ، وتقبيل حجر ، ورجم آخر ! وغير ذلك .. نقول هذه المسائل تتجاوز حدود العقل .. لأن المسألة هى إنضباط فى طاعة الله .. وتعويذ للنفس البشرية على أن تخضع للأمر الأعلى . فالله سبحانه لم يكلف شططا ، بل كلف بحكمة بالغة ..

أنت حين ترجم الشيطان لابد أن تعرف أنه لا يترك قضية إيمانية إلا حاول إفسادها ، وقد لاحق الشيطان سيدنا إبراهيم عليه السلام .. وكلما ردده إبراهيم كان يعاوده مرة ثانية .. ونحن بالرجم نمثل لأمر الله أولاً ونحيي سنة أبيينا إبراهيم عليه السلام الذى سماانا مسلمين من قبل وفاء من وفي .. كما يقول الله تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم :

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾

(سورة النجم)

إننا حين نرجم إبليس في الحج يجب أن يكون عزمنا هو إلا نطيه بعد العودة وأن يكون شعورنا أننا تغلبنا عليه ، ويجب أن تستمر هذه الغلبة بعد الحج لأنه رغم دسه وسوسته

ليجعلنا لا نؤمن بالله آمنا . . ورغم محاولته لأن يجعلنا نشرك بالله لم نشرك . ثم آتينا إلى الحج فأدينا المناسك وإزددا في الطاعة . .

إن الرجم هنا رمز لانتصارنا على الشيطان ، وهو يوم لعنة وخسران مبين للشياطين . . والشيطان ملعون من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين ، لعنة الله غيب عنا ولكنها موجودة ومستمرة . . ولعنة الملائكة غيب عنا ولكنها موجودة ومستمرة . أما نحن فإننا نعلن لعنتنا للشيطان بطريقه مادية ، وهي الرجم في مني ، في هذا اليوم يُرى الشيطان في أحرق وأذل حالاته . .

إنه يوم الثأر والقصاص من الشيطان الذي وسوس لك ، إنه يوم الانتصار على أعدى أعدائك . . ويجب أن يظل عدوك اللدود . . وفي نفس الوقت أخذت الدرس فيما بقي من حياتك . . لا تدعه ولا تعطيه الفرصة لكي يتصر عليك مرة أخرى . . تقبل أوامر الله ونواهيه بعشق وارض بقضاء الله . . فإن فعلت أغفلت جميع منافذ الشيطان . . فلا يكون له عليك أى سلطان . . فليس أى إبتلاء من الله لك يعني أنه غاضب عليك لأنك لا تدرى ماذا أخفى الله في قضائه . . فلعله ابتلاك به لأنه يريد أن تزداد ثوابا على الطاعة ، وتزداد أجرها على عدم الوقوع في المعصية أو ليرفع درجاتك والله سبحانه يعلم - وهو العليم - صدق توجهك ورضائلك في كل ما تأك به المقادير ليجزيك عن الصدق والرضا أحسن الجزاء . .

. وبعد أن ترمي جمرة العقبة الأولى (أو جمرة إبليس الكبير) تتحلل الإحلال الأصغر وعليك أن تقصد إلى مكة لتطوف طواف الإفاضة وهو آخر ركن في الحج ، وبعده تحلل الإحلال الأكبر الذي يتبع لك كل ما كان محظياً عليك . وإذا كنت قد أديت السعي بين الصفا والمروة في طواف الحج فليس عليك سعي في طواف الإفاضة ، أما إذا كنت لم تؤده فأسع بعد طواف الإفاضة ..

وهناك طواف تطوع ، وسعى تطوع لكل من أراد أن يزداد أجرًا وثوابا . فليس أحلى من فعل مثل ما فرضه علينا من صلاة وصوم وصدقة أو نسك ، لأن هذا الفعل دليل على أننا لا نؤدي ما فرضه الله علينا فحسب ، وإنما نزيد عليه بالتطوع تعيرا وحبا عن عبوديتنا لله جل جلاله ..



الفصل الخامس

اجتهادات العلماء



كثير من الناس يحدثونني عن اختلاف الأئمة في الاجتهدات التي لم يرد فيها نص محكم من الله بالنسبة لمناسك الحج .. والإيمان يتطلب منا أن نجمع على النص المُحَكَّم .. أما النص غير المحكم الذي تركه الله للإجتهداد فعلينا أن نحترم رأي المجتهد فيه .. فلا يرى إمام من الأئمة أن ما ذهب إليه في الاجتهداد هو وحده الحق ، واجتهداد غيره باطل ، بل يجب أن نقول كما قال المجتهدون من الأئمة : « ما وصلت إليه صواب يحتمل الخطأ ، وما وصل إليه غيري خطأ يحتمل الصواب » ..

إن ذلك ثبت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشرع المفوض من الله أن يشرع ما يبين للناس كل أحكام الدين .. لأن القرآن وهو - الكتاب المعجزة - إنما جاء من الأحكام بالأصول . ورسول الله صلى الله عليه وسلم مفوض من الله أن يأق بالتفصيل .. ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَمَا ءَاكُمْ وَرَسُولُ فَوْذُوهُ وَمَا نَهَلُكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ أَبْرَاهِيمُ ﴾

(من الآية ٧ من سورة الحشر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم علمتنا أن نحترم في الاجتهداد الآراء المخالفة ولا نخطئها بل نقبلها .. مثال ذلك ما حدث بعد غزوة الأحزاب .. وبعد أن انسحب الكفار وفروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يصلُّين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) ..

بعض المسلمين الذين سمعوا هذا النداء إنطلقا إلى بنى قريطة عازما على صلاة العصر بها كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضهم الآخر رأى الشمس تميل إلى المغيب وخاف أن تفوته صلاة العصر فصلى . . ثم أكمل مسيرته إلى بنى قريطة . .

إحتجكم الطرفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وأقر رسول كلا الطرفين . . من صلى العصر قبل أن تغيب الشمس حتى لا يفوته وقت الفرض . . ذلك الذي نظر إلى ظرف الزمان ، كما أقر من لم يصل العصر إلا في بنى قريطة ، ذلك الذي نظر إلى ظرف المكان . فالإثنان على صواب . .

نقول هذا لنبرهن على أن الخلافات التي بين المذاهب الأربع في الحج وفي غيره . . يجب أن تكون مقبولة على أساس ما أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة للصلاة في بنى قريطة . .

الإمام الشافعى رضى الله عنه قبل أن يأتى إلى مصر كان له مذهب . . ولما جاء مصر ووجد ما دونه عبدالله بن عمرو ابن العاص وفيه أحاديث لم يروها أبو هريرة ، لأن عبدالله بن عمرو كان يتميز بأنه يكتب ، وأبو هريرة لم يكن يعرف الكتابة بل كان راويا . . عندما جاء الشافعى إلى مصر ووجد ما تركه عبدالله وفيه أحاديث لم يعلمهها من قبل . . بدأ بغير بعض الأحكام في كتابه (الجديد) الذى انتهى إليه وغير أحكاما كان قد أثبتها من قبل . .

كذلك كل ما اختلف الأئمة بشأنه فيما يتعلق بالمبيت في
مني ، أو الوقوف بالمزدلفة ، أو النحر ، وأين يتم ، وغير
ذلك .. وكلها قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عندما سُئل
عنها :

(إفعل ولا حرج) ..

إن الذين يتمسكون بشيء ما ، ينظرون إلى ما فعله الرسول
عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع .. ونحن نقول إن هذا
شيء طبيعي .. لأن اتباع ما فعله رسول الله عليه الصلاة
والسلام هو اتباع لصحيح السنة .. ولكن لا بد أن نفرق بين
سنّية الدليل وسنّية الحكم .. فأنت تصلي المغرب مثلاً ثلاث
ركعات .. مع إنه لم يأت نص في كتاب الله يقول إن المغرب
ثلاث ركعات ، أيضاً لم يأت نص بأن الصبح ركعتان .. أو
أن كلاً من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات .. ولكن
الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو المشرع الثاني بحكم
القرآن - علمنا ذلك .

نأى إلى كلمة سنة ويدور حولها بين العلماء خلاف ، بعض
الفقهاء يقول هناك فرض وواجب سنة .. ويقول إن معنى
السنة إنك إن فعلتها ثاب ، وإن لم تفعلها لا تعاقب ، وتسمى
سنّية الحكم .. كالرکعتين اللتين تصليهما قبل صلاة الصبح إن
فعلتها ثاب وإن لم تفعلها لا تعاقب .. أما بالنسبة لعدد
ركعات المغرب الثلاث فإنك تصليها بسنة الدليل وليس بسنة
الحكم ..

الأخذ بالأحوط



وفي فريضة الحج بعض الناس فعلوا أشياء قبل أشياء قدموا أو أخرموا وعندما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إفعل ولا حرج) ..

لأن هذه الأمور ليست سنية حكم ولن يستدعي دليلاً .. فالحج يجب أن يتسع لكل مظاهر الخلاف ، ولكن يجب على من يؤدى حج الفريضة أى الحج الأول له لا يتساهل ، وأن يأخذ بالأحوط .. أما حج التطوع - وهو ما بعد أداء الفريضة - فالتسهير فيه أوسع .. والاحتياط في أمور العبادات واجب لتكون أرجحى للقبول عند الله ، فإذا كنت تصل ولا تعرف هل صليت ركعتين أو ثلاثاً نقول لك إنك صليت ركعتين حتى تأخذ بالأحوط ..

وبالنسبة للطواف حول الكعبة مثلاً ، وحول الحطيم وهو القوس الذي يتم الطواف من خارجها .. فلا تقل سأطوف حول بناء الكعبة فقط .. لأن أصل بناء الكعبة كان ينتهي عند هذه القوس .. ولما جاء العرب ليعيدوا بناءها .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخامسة والعشرين من عمره أخذوا عهداً على أنفسهم ألا يبنوها إلا من مال موثوق به أنه حلال .. فجمعوا المال الموثوق بأنه حلال فوجدوه لا يكفي

إلا المساحة الحالية لبناء الكعبة .. ف قالوا نبني على قدر هذا
المال الحلال والباقي نعمل له حدودا فقط .. فهذه الحدود التي
تشبه القوس هي من الكعبة ..

إنك عندما تطوف فإنك لا تطوف حول البناء العالى للكعبة
فقط وإنما تطوف بالزيادة خارج القوس .. فإن طفت من
الدائرة القرية فإن طوافك صحيح .. وإن طفت من الدائرة
الواسعة فإن طوافك صحيح .. ولكنك إن طفت من الدائرة
القرية تكون قد تركت جزءا من الكعبة .. لأنه من المقطوع
بأن هذا الجزء المحاط بالقوس ، وليس فيه بناء ، من
الكببة .. ولا تجوز صلاة الفرض فيه لأن صلاة الفرض
لا تجوز داخل الكعبة ، ولكن من خارجها ، وأن تتجه
إليها ، ولذلك فمن الأحوط ومن الأحسن أن تطوف حول
الكببة كلها ، وأن تتجه في صلاتك إلى الكعبة كلها .. وكل
فرضة تحتاط لها بالزيادة ، وليس بالنقص ..



ذبح الهدى

أما بالنسبة للذبح فالامر ليس فيه نص محكم ، ولذلك
فأنت تأخذ بالرأى الميسر .. لأن الذى قال : إن الذبح لا يجوز
إلا في منى ، نظر إلى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والذى قال : إن الذبح يجوز في مكة نظر إلى قول الله سبحانه
وتعالى :

﴿إِهْدِيَا بَلِّغُ الْكَعْبَةَ﴾

(من الآية ٩٥ من سورة المائدة)

كما أن هناك رأياً أن مكة كلها منحر أى يجوز الذبح في أي
مكان فيها .. وكل هذا لا يمثل خلافاً ، بل الخلاف يجب أن
يكون في الإتجاه ، وليس في المتوجّه إليه .. كلنا نريد أن نتوجه
إلى الحق .. أنت رأيت الحق هنا ، وأنا رأيت الحق هناك ..
ولا يوجد شيء يقودني ويقودك إلى حكم مقطوع بحقيقةه
إلا بالاجتهاد .. وليس هذا نقصاً في التشريع ، بل هو نوع
من التيسير على الناس في الأحكام .. لماذا ؟ لأن الله سبحانه
وتعالى كما خلقنى مقهوراً في أشياء جرى على فيها القضاء ..
ومختاراً في أشياء اختار فيها بين البدائل .. كذلك جعل أحكام
المهيج أحكاماً جبرية ليس لـ فيها تصرف .. وأحكاماً أخرى
اتركها للإجتهاد والرأى .. وإلا كيف نفسر قوله تعالى :

﴿وَأَوْرَدْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِنَتُهُ الَّذِينَ

يُسْتَنْطِونَهُ وَمُنْهَمُونَ﴾

(من الآية ٨٣ من سورة النساء)

والاستنباط هو أن تحاول إستنباط الحكم .. ومادمت تحاول أن تستنبطه فهو غير واضح لك .. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز حينما أراد أن يهيئة الصلاة :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا غُسْلٌ لِوُجُوهِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا مَرْأَفِكُمْ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَلَا جُلُوكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

(من الآية ٦ من سورة المائدة)

إن المطلوب منا قبل أن ندخل في الصلاة هو أربعة أشياء : غسل الوجه واليدين حتى المرفقين وغسل الرأس والقدمين .. والسؤال هو : هل القدمان دخلتا في المسح أم في الغسل ؟

نقول إن الآية الكريمة تقول : « إمسحوا برؤوسكم وأرجلكم » .. الأرجل منصوبة .. فإذاً هي معطوفة على المغسول وهو الوجه واليدان لا على المسح .. وهو الرأس . نقول إن الترتيب هنا شرط .. أي أن تقوم بفعل هذه الأشياء بترتيب حدوثها .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى فصل بين مغسولين بمسوح ..

التحلل الأكبر والتحلل الأصغر

ويجب أن نعرف أن هناك تحللاً أكبر ، وتحللاً أصغر .. فالتحلل الأصغر يحل لك كل شيء كان ممنوعاً في الإحرام .. إلا النساء ، فلا تحل لك المرأة إلا بعد طواف الإفاضة .. وطواف الإفاضة ركن يجب أن نحتاط فيه بأن نؤديه الأداء الكامل : سبعة أشواط ، ولا نزيد عنها ، لأنه ركن من أركان الحج ..

في طواف الإفاضة تختلف الصورة لأن بعضهم تخلل من إحرامه بعد أن قاموا بترجم إبليس في جمرة العقبة ولبس ملابسه .. وبعضهم لم يتخلل وظل بملابس الإحرام . كما نجد البعض يغطي كتفاً ويكشف الكتف الأخرى ..

والالأصل أننا نفعل ذلك في الأشواط الثلاثة الأولى . مثلاً نهرول في المسعى في الأشواط الثلاثة الأولى . وفي هذه الأشواط لا بد أن تسرع .. هذه عملية تسمى إستصحاباً ، أي تقليداً لما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ..

أما سبب هذه الهرولة في الأشواط الثلاثة الأولى فقد حدثت لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعكة من تغير الجو فقال كفار قريش : حمى يثرب نهكت المسلمين وأضعفتهم .. فلما بلغ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يثبت

كذب كفار قريش ، فامر أصحابه بأن يكتشفوا كتفا ويسرعوا في السعي وطواف الإفاضة في الأشواط الثلاثة الأولى ، وقال لصحابته رضوان الله عليهم :

(رحم الله إمراً أراهم من نفسه قوة) ..

وهذه الهرولة ليست مطلوبة في طواف القدوم ولا في طواف الوداع .

لقد كان المسعي في الماضي سوقا .. وكان فيه مكان يجلس الناس فيه ويشاهدون المسعي ، وليس مطلوبًا منك أن تهرول إلا إذا كان المكان أمامك ليس مزدحما .. أما إذا كان مزدحما فلا تزاحم وأرفق بن حولك من المسلمين .. والهرولة في المسعي تتم بين علامتين خضراوين موجودتين في المسعي ..

وعلى العموم فإن المزاحمة التي تؤدي إلى الإيذاء غير مطلوبة .. فأنت مثلاً تزاحم عند الحجر الأسود لتلمسه أو تقبله .. مطلوب منك أن تزاحم في أداء شعيرة وقف فيها العقل .. لأن هذا دليل على يقين إيمانك وشدة تمسكك بعمل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم .. ولكن مطلوب منك إلا تؤدي أحدا .. والذى يتعب الحجاج في أداء مناسك الحج هو سلوك بعض الحجاج أنفسهم .. فمثلاً إنسان يريد أن يطوف من الناحية الضيقه القرية من الكعبة ولا يريد أن يطوف من الناحية الواسعة .. مع أن كل واحد منا لو طاف دون أن يحاول أن يتقدم على غيره .. أو يضايقه أو يصطدم به .. لتم كل شيء في سكينة ويسر ..

مائة وعشرون رحمة في الكعبة

والحق سبحانه وتعالى يريد بنا اليسر .. وكل من في الحرم له ثوابه .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إن الله يهبط في الحرم (الكعبة) مائة وعشرين رحمة .. ستون منها للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين) ..

إنك إذا جلست تنظر إلى الكعبة نزلت عليك الرحمة ..
وأنت عندما ترى الكعبة وتنظر إليها تختفي كل همومك
ولا يبقى في بالك إلا الله سبحانه وتعالى .. ولو جلست
ساعات أمام الكعبة فإن نظرك لا يتحول عنها .. ولا تستطيع
أن تنزع نفسك منها ، مادمتجالسا أمامها .. وإذا أردت
تفسيرها لذلك .. فإن في النفس البشرية ملكات لا يعرفها
إلا الله سبحانه وتعالى ..

وبعد أن تنتهي من طواف الإفاضة تتحلل الإحلال
الأكبر .. ولا يصبح شيء حرم عليك من محظورات
الإحرام .. والذى يؤدى العمرة أولا . ثم يتحلل ويظل في
مكة إلى أن يأتي موعد الحج فيحرم .. هذا إسمه تمنع بالعمرمة
إلى الحج .. أى انه جمع بين عمرة وحج في زمن واحد ، ولكن
ليس بإحرام واحد .. بل أحمرم للعمرمة وطاف وسعى

سعيها .. ثم تخلل ليحرم من جديد وقت إحرام الحج ..
نقول في هذه الحالة وجب على المتمتع هدئي .. مصداقا لقوله
تبارك وتعالى :

﴿فَإِنْ تَمْتَعَنَّ بِالْعُمَرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَلَا أَسْتَيْسِرُ مِنَ الْمُهْدِيِّ﴾

(من الآية ١٩٦ من سورة البقرة)

بعض الناس يقول لابد أن يذبح الهدى في منى ، وبعضهم
يقول إذبحه في مكة ، وبعضهم يقول لابد أن يذبح قبل
الحج .. وأخر يقول لابد أن يذبح بعد الحج ..

إن النص القرآني رتب الهدى على التمتع .. حتى إنه قيل
لابد أن تذبحه في المكان الذي يبدأ فيه إستماعك وهو المروءة
فالمتمتع يذبح الهدى في مكة ..

ولكن العلماء اختلفوا في العمرة .. فقال بعضهم أن العمارة
ليست واجبة .. وليس فرضا بل هي سنة ، وقال بعضهم
إنها واجبة .. وفي رأيي أنه لابد أن يجتمع العلماء ليصنفوا هذه
المسائل ويصلوا فيها إلى رأي محدد .. والذين قالوا إن العمارة
سنة .. لم يلتفتوا إلى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَلَأَقِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمَرَةَ لِلّهِ﴾

(من الآية ١٩٦ من سورة البقرة)

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ الْصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَّارِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ﴾

عَلَيْهَا أَن يَطُوفَ بِهَا ﴿١٥٨﴾

(من الآية ١٥٨ من سورة البقرة)

لماذا يأتم الله دائماً بالعمرة بعد الحج .. وما معنى الحج ؟
وما معنى العمرة ؟

كلمة الحج معناها في اللغة القصد ، بشرط أن يكون ما تقصده شيئاً عظيماً .. فلا تقل مثلاً حججت إلى المطعم لأكل .. ولكن تقول حججت إلى عظيم القضاة لأسمع الحكم . والشرع لم يجد أعظم في الكون من بيت الله .. فكلمة الحج معناها شرعاً قصد بيت الله الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه :

﴿ وَإِلَيْهِ عَلَى الْكَافِرِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

(من الآية ٩٧ من سورة آل عمران)

إذن فالحج هو زيارة بيت الله .. والحج له أشهر معلومة .. يقول الحق جل جلاله :

﴿ الْحَجَّ أَشَدُّ رِمَادًا مَعْلُومًا فَمَنْ قَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ
وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ ﴾

(من الآية ٩٧ من سورة البقرة)

ونحن حين نستنبط أحكاماً من كتاب الله ، لابد أن نأتى

بكل الآيات التي وردت في القرآن الكريم والمتعلقة بهذا الموضوع .. فلا نأخذ حكما من آية في غياب آية أخرى .. والله سبحانه وتعالى عطف العمرة على الحج في قوله جل جلاله : « فمن حج البيت أو اعتمر » .. قوله سبحانه : « وأتموا الحج والعمرة لله » .. إذن لا بد أن تكون فرضا وواجبا .. عندما يأك الله تبارك وتعالى في سورة براءة يقول :

﴿ وَإِذْنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْأَنَاسِ يَوْمَ الْحِجَّةِ الْأَكْبَرِ أَنَّ
اللَّهَ يَبْرِئُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾

(من الآية ٢ من سورة التوبة)

كلمة الحج الأكبر تشعرك أن هناك حجا آخر ولكنه ليس أكبر .. هناك حج كبير ، لأن الذي بعد الأكبر في المنزلة هو كبير .. وبعد الكبير صغير .. إذن فهناك حج أكبر وحج كبير .. الحج الذي يشهد الناس فيه موقفا واحدا ، وهو الوقوف بعرفة ، هذا هو الحج الأكبر .. لأن كل الحجاج يجتمعون في عرفة في مكان واحد ، في وقت واحد ، ولكن العمرة ليس لها وقت محدد ..

ان المعتمرین یأتون لأدائها على مدار السنة وهم لا یجتمعون في مكان واحد مثل يوم عرفة .. عندما يقول الله جل جلاله : « ولله على الناس حج البيت » .. نأخذها على عمومها حجا كبيرا إذا كان في عموم الزمن .. وعلى خصوصها حجا أكبر إذا كان في خصوص الزمن .

الصلة خارج المسجد الحرام



ويجب علينا أن نستوعب بعض القضايا التي تتعلق بالمسجد الحرام في موسم الحج . المسجد يزدحم بالحجيج .. وكثير من الناس يتزاحمون على دخول المسجد في الوقت الذي يتراحم آخرون على الخروج .. فيصطدم الداخلون والخارجون .. وبعضهم لا يجد مكاناً للصلاة داخل المسجد .. والسبب أنهم يعتقدون أن الصلاة داخل جدران المسجد مضاعفة الثواب .. أما خارجه فلا .

ونقول لهؤلاء : إذا ازدحم المسجد وامتلأ وصلى الناس خارجه وكانت الصفوف موصولة في خارج المسجد وعلى عتبات أبوابه .. وفي الشوارع والميادين المتصلة به .. بحيث لا توجد فجوة للمرور .. فكأنها تصل في المسجد الحرام ، حتى وإن امتدت إلى صناعء بشرط ألا تقطع الصفوف .. ويجب توعية الحجيج بأنه في حالة ضيق المسجد بالمصلين وصليت خارج المسجد فإن لك نفس الثواب .. مادامت الصفوف متصلة .. فإذا انتهت الصلاة تنتهي المسجدية بالنسبة للطريق ..

ويجب أن ننبه إلى ظاهرة حجز الأماكن في المسجد الحرام .. بعض المصلين من أهل مكة أو غيرها يحجزون أماكن في الصفوف الأولى .. هذه الأماكن ليست من

حقهم .. لأن الصف الأول لمن دخل المسجد أولاً .. لأنه الأحق به .. والأصول في المساجد عموماً أن يجلس كل واحد بجانب أو خلف من سبقه في الدخول .. فإذا امتلاً الصف الأول يأكِن الصف الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع .. بحيث كل من يأكِن المكان المناسب له ..

لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. عن حجز الأماكن في المساجد لأنها محاولة للتمييز في مقام الحضرة الإلهية التي يتساوى فيها الجميع .. ولا يوجد مكان يحجز في المسجد إلا مكان الإمام .. ويجعل له طريق بحيث يستطيع أن يذهب ليؤم الناس .. دون أن يتخطى الرقاب أو يؤذى أحداً ..

شيء آخر هو تسوية الصفوف في الكعبة .. المحيط القريب من الكعبة يكون أقرب إلى الاستدارة .. وإذا اتسعت الصفوف وقت الصلاة في الأروقة تحت الأعمدة وتحت المبانى .. نجد أن السجاد يحدد وقوف المصلين .. السجاد نفسه دائر حول الكعبة .. ولكن في الأروقة والممرات لا نجد السجاد ..

إذا قال الإمام في الكعبة : سووا صفوكم .. فليس معنى هذا أن يكون الصف معتدلاً ، ولو حجبت الأعمدة الكعبة عنهم .. نقول إن الذي يصل إلى الكعبة لا يصح أن يصل متوجهها إلى جهة الكعبة ، ولكن إلى عين الكعبة يراها أمامه .. إن الناس يفهمون أن تسوية الصفوف معناها إستقامة الصف ، وهذا ليس صحيحاً ، لأن الكعبة هي التي تحدد

إنجاهك بحيث ترى الكعبة ، والإستقامة هنا على حدود أضلاع الكعبة .. هذا إذا كنت تصلى في الكعبة .. إما إذا كنت تصلى وأنت لا ترى الكعبة فيكفي الإتجاه إليها ..

هناك شيء اسمه لزوم مالا يلزم في الحج فما هو ؟ إننا عندما نقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَنْخُذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصْلَّى ﴾

(من الآية ١٢٥ من سورة البقرة)

نجد أن هذا الكلام في ظاهره أمر .. والواقع غير ذلك .. إذ هو للإباحة .. فليس معنى الآية هو أن مقام إبراهيم وحده هو المصلى في الكعبة .. ولكن مقام إبراهيم كان يقف بين الكعبة وبين بعض المصلين .. فكانوا يتبرجون من أن يصلوا خلف المقام لأنهم يبحرون عن الكعبة ، فلا يصلون خلفه .. لأن الذي يصلى خلفه يكون المقام حائلاً بينه وبين الكعبة ..

الله سبحانه وتعالى رفع هذا الحرج وقال : « وإنخذلوا من مقام إبراهيم مصلى » .. أى لا حرج في أن تصلوا في هذا المكان .. ولا مانع أن يكون المقام حاجزاً بينكم وبين الكعبة ..

في نهاية الطواف يصلى الناس ركعتي سنة ، ولما كان الطائفون كثيرين .. فإن هذا المكان يزدحم إزدحاماً شديداً وخصوصاً في موسم الحج .. ولتفادي التكدس الهائل في هذا

المكان .. أرادوا في الخمسينات أن ينقلوا مقام إبراهيم من مكانه الحالى إلى مكان آخر بعيد .. وكان مقام إبراهيم في ذلك الوقت حوله أبنية وأعمدة وسقف ويحتمل مساحة كبيرة مما يجعل الطواف صعبا .. وفعلا بُدِئَ في بناء مقام جديد وتقرر أن يأق الملك سعود رحمة الله لينقل الحجر إلى مكان المقام الجديد .. لكن قبل أن يتم النقل بـ يومين وصلت برقية طويلة جدا إلى القائمين على الأمر بأن هذا العمل لا يصح أن يتم .

لقد صدر الأمر بوقف العمل في المقام الجديد .. إلى أن بيت بواسطة العلماء في هذه البرقية .. وقرر العلماء فعلا عدم جواز نقل مقام إبراهيم من مكانه الحالى .. فتقرر هدم الأبنية التي كانت حول المقام وعمل غلاف زجاجي على قدر الحجر لا يأخذ من المكان إلا مساحة قدمى إبراهيم .. كما هو موجود الآن .. وأصبح يراه الناس ، لأنه من الآيات التي لابد أن يراها كل من يحج بيت الله الحرام ..

ويجب أن نعلم انه لا فرق في الثواب والأجر بين الطواف حول الكعبة أو السعى بين الصفا والمروة في الدور الأول أو الثاني أو الثالث .. لأن المسجد جوه مسجد حتى الساء السابعة .. وكذلك الأرض كلما نزلنا إلى أعماقها فهي مسجد ..

ولابد أن نتحدث عن زمزم .. وزمزم تمثل شيئاً مُهِمًا في العقيدة .. فبصرف النظر عن كونها شفاء للمرض وطعاماً يملاً المعدة .. فإنها تمثل رمزية طلاقة قدرة الله ، وعدم الاعتماد

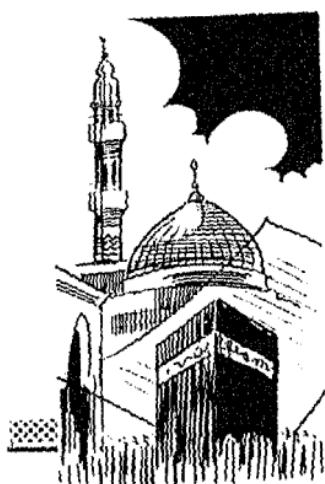
كلية على الأسباب .. فعندما يشرب منها الحجيج تذكرهم برحمة الله في فتح الأبواب المغلقة عندما لا تجدى الأسباب ..

ويجب أن ننبه على أن بعض الناس يستهينون بمناسك الحج وخصوصاً في منى حيث يقوم عدد كبير منهم بالتوكيل في رمي الجمرات بحججة الزحام . ونقول لهم : إن الزحام لا يثبت إلا إذا ذهبت لرمي الجمرات ولم تستطع . وكما قلنا في مناسك الحج بل وفي كل العبادات لابد أن تأخذ بالأحوط ، ولا ترك شيئاً في تركه شبهة .. فالحج ليس نزهة .. ولكن عبادة لها مناسك لابد أن تؤديها . أو تفدى بذبيح ..

الآن وقد مَنَّ الله عليك بحج بيته الحرام وأداء نسكه فإنك تستعد لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وهذا ما مستتناوله بعون الله في الفصل التالي ..



الفصل السادس



زيارة رسول الله

طوف الوداع يجب أن يكون آخر عمل لك في مكة قبل مغادرتها إلى بلدك أو إلى المدينة المنورة .. وهذا الطوف لا يسقط إلا في حالات إستثنائية ، فهو مطلوب من الجميع . ماعدا المرأة الحائضة .. فلا نقول لها : إنتظري إسبوعا حتى تطوف طوف الوداع . ولكن عليها في طوف الإفاضة أن تنتظر . لأنه ركن في الحج ..

وطوف الوداع إختلف فيه العلماء .. هل هو سنة ؟

المالكية والأحناف قالوا : إنه سنة والإمامان أحمد والشافعى قالا : إنه واجب . ما الفرق بين الفرض والواجب ؟ الفرض ثابت بدليل ليس فيه شبهة ، والواجب يثبت بدليل ظنى ، والأحناف وحدهم هم الذين يفرقون بين الفرض والواجب . ولكن عند غيرهم يكون الفرض مثل الواجب ..

لماذا إذن لا نأخذ بالأحوط ؟ لماذا لا نتم مناسكتنا إتمام إتقان لا يترك مجالا لأى شك .. فالذى لا يطوف طوف الوداع لابد أن يذبح .. عليه فدية هى فدية طوف الوداع .

ولكى يكون الطوف مرفوعا إلى الله ومقبولا منه يجعله آخر شيء تفعله قبل أن تغادر مكة . لا تطف طوف الوداع ثم تمكث في مكة بعد ذلك لتشتري أشياء من السوق ، أو تجلس في الفندق ، أو تحاول أن تراجع ماذا تريد ، ماذا أحضرت

لأقاربك وأصدقائك . بل طف طواف الوداع وانخرج منه إلى السيارة التي تنقلك لخارج مكة فورا .. فليس هناك في هذا الكون ما هو أعظم من بيت الله ..

لكن رحلة الحج بالنسبة للناس لا تتم نفسيا إلا بزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة . فالذين يسافرون قبل موعد الحج بفترة يذهبون إلى المدينة أولا ، ثم يحرمون منها إلى مكة لأداء مناسك الحج ، والذين يصلون قبل الحج بأيام يقضون مناسك الحج ، ثم بعد ذلك يزورون رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ..

بعض الناس يقول : إن الذي يحج ولا يزور رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه لم يحج .. وهذا معنى نفسي ، وليس حكما شرعيا . لأن النفس المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل أن تذهب إلى الحج دون أن تزور رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة . هذه مسألة منطقية ، فالمؤمنون يحبون رسول الله عليه الصلاة والسلام .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ ﴾

(من الآية ٣١ من سورة آل عمران)

الزيارة ليست ركنا .. ولكن

ولا يصدق إيمان مسلم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه .. وهذه الزيارة وإن لم تكن من أركان الحج .. إلا أنها مسألة نفسية قلبية . والله سبحانه وتعالى شاعت إرادته أن يقيم رسوله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكان يقول لأهلها : « المحييا محياكم والممات مماتكم » أى أنه صلى الله عليه وسلم سيحييا هنا ويموت هنا .. وقد أعلم الله بذلك .. حتى لا يتعارض هذا مع قوله تعالى :

﴿ وَمَا نَدِرَى نَفْسٌ بِأَيِّ أُرْضٍ تَوْمَئُ ﴾

(من الآية ٣٤ من سورة لقمان)

وقد حدث حينها قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بعد موقعة حنين . فأعطى الناس ولم يعط الأنصار ، فأحس الأنصار بالألم في أنفسهم أن يحررهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم . فقال صغار السن منهم : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم . يعطي قريشا ، ويتركنا . وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ ولما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك دعاهم وأدخلهم في قبته ، وقال : يا عشر الأنصار ! أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير . وتذهبون برسول الله ؟ قالوا : بلى . فقال صلى الله عليه وسلم : لو سلك الناس واديا ، وسلكت الأنصار شعبا

لسلكت شعب الأنصار ، لقد أعلم الرسول الأنصار أن موته سيكون في المدينة ..

وإذا قال أحد : كيف يحدث هذا ولا يعلم الغيب إلا الله نقول : نعم لا أحد يعلم الغيب ، ولكن يعلمه الله تعالى لمن يشاء .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله في القرآن الكريم بأن يقول :

﴿ وَلَا أَعْلَمُ بِالغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لِكُمْ إِذْ مَلَّكُ ﴾

(من الآية ٥٠ من سورة الأنعام)

إذن فزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ليس مناسكا من مناسك الحج .. ولكنها أدب من آداب الإسلام ..

ولقد اختار الله سبحانه وتعالى ، لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يموت في المدينة ، تعظيمها ل شأنه ورفعا ل مقامه .. وحتى لا تكون زيارته تبعا لزيارة بيت الله الحرام ، وإنما تكون زيارته مستقلة وخاصة به .. ويأتي الناس للحج ، وبعد أن ينتهوا من قضاء مناسكهم يركبون السيارات ويقطعون مسافة حوالي خمسائة كيلومتر بين الجبال والصحراء ليزوروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة .. لتكون زيارته خاصة به ، ونابعة من عشقه وحبه ، وليس بجانب أي شيء آخر بل هي تقصد بذاتها .. وقطع لها المسافات الطوال ..

المدينة .. حرم



وعندما نصل إلى المدينة المنورة ، فإن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الحرم المدنى له حدوده ، كما أن الحرم المكى له حدوده .. وفي الحرم المدنى لا ترتكب المخالفات ولا يصاد الطير .. ولا يهيج صيد ليخرج خارج الحرم فتصطاده . ولا تقطع شجرة ولو كانت مليئة بالأشواك .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن إبراهيم حرم مكة ، وأنا حرمت المدينة) ..

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وهو وحده بين الرسل الذى أعطى حق التشريع . يقول الله تعالى :

﴿ وَمَاءِ أَنْكَرُوكُمْ وَالرَّسُولُ قَدُّوْهُ وَمَا تَسْلَكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا ﴾

(من الآية ٧ من سورة الحشر)

فإله سبحانه وتعالى أمن رسوله صلى الله عليه وسلم على أن يشرع للناس .

والحرم في المدينة يحدد بأنه بين لابتئها ، واللابتئه هي الحجارة السوداء ، وتوجد إحداها ناحية الميقات في أبيار على ، والثانية

في الناحية الأخرى .. فمن كان بين هاتين العلامتين .. فهو في الحرم المدنى وعليه أن يلتزم حدود الأدب التي التزمها في الحرم المكى ..

وأنت حينما تدخل المسجد الحرام في مكة ، فتحية المسجد هي الطواف بالکعبة .. أما في المسجد النبوى .. فتحية المسجد هي صلاة ركعتين تحيي المسجد .. ثم تبدأ زيارتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. زيارة يلأها الأدب والخشوع .. تستحضر فيها عظمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانته عند ربه ، ثم بعد ذلك تتوجه نحو المقصورة .. وهي المكان الذى دفن فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وتسليم عليه . تقف وتقول : السلام عليك يا رسول الله . ثم تسلم على صاحبيه أبي بكر وعمر ، وهما مدفونان بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونحن أمرنا أن نسلم على كل من انتقل إلى جوار الله .. فعندما نمر على المقابر نقول : السلام عليكم ديار قوم مؤمنين .. أنتم السابقون وإنما إن شاء الله بكم لاحقون ..

لو انه لم يكن للسلام عندهم إستقبال إنفعالي ، فإن التسليم يكون عبثا .. فإذا كان هذا بالنسبة للأشخاص العاديين ، فكيف ذلك بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى المشركين في أول غزوة إيمانية في بدر ، فقد وقف صل الله عليه وسلم ينادي

المشركين بأسمائهم : يا فلان ! يا فلان ! هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقال الصحابة يا رسول الله : أتكلمهم وقد جيفوا ؟ أي أصبحوا جيفة .. فقال : والله ما أتتم بأسمع منهم .. ولكنهم لا ينطقون ..

بعض الناس يعتقد أن السمع لا يكون إلا بالأذن ، والرؤية لا تكون إلا بالعين وهذا صحيح بالنسبة للأحياء .. أما بالنسبة للموْقِ فالأمر مختلف .. لأن لكل مرحلة من مراحل الحياة قانونها .. فالحياة الدنيا لها قانون وحياة البرزخ أيضا لها قانون .. والحياة الآخرة لها قانون .. والإنسان يعيش بقانونين : قانون اليقظة ، وقانون النوم .. إلا أن قانون النوم أكثر شفافية من قانون اليقظة .

إنك وأنت نائم ترى الأموات وتتحدث معهم وترى أشياء غريبة عن العالم الذي نعيش فيه .. كيف رأيت وعيناك مغمضتان ؟ لابد أن هناك حواس أخرى ترى غير العين .. فإذا كان هذا يحدث في قانون النوم .. فقانون الموت أشرف من قانون النوم .. والبعث أكثر القوانين شفافية ..

ولابد أن تفهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسره منك أن تضعه في موضع أعلى من موضعه .. فليايك أن تغالي كما غالَت النصارى في عيسى بن مريم وإنما تقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته يا خاتم المرسلين ورحمة الله للعالمين .. نشهد أنك أديت الرسالة ، وبلغت الأمانة ونصحت الأمة .. كل هذا بصوت خافت ليس فيه علو

ولا تشنج .. فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا ترْفَعُ أَصْوَاتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ الْجِنِّ
وَلَا تَجْهَرُ وَلَا هُوَ بِالْقَوْلِ بَحْمَنٌ بَعْضُكُمْ لَبَعْضٍ أَنْ تَجْهَزَ
أَعْمَالَكُمْ وَإِنَّمَا لَا يَشْعُرُونَ ② ﴾

(سورة العجرات)

إن المطلوب في هذا المكان أن يكون الصوت خافتًا خاشعاً متأدباً لا يعلو ، بلا زحام أو دفع . أو شجار أو احتكاك ، بل إنك لابد أن تستحضر في ذهنك إنك في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أكرم خلق الله ، وأقربهم إلى الله ، وأنك حينها تحبيه لهذا شرف كبير لك .. وتشهد له شهادة يشفع لك بها يوم القيمة : شهادة حق في إنه أدي الرسالة ، وبلغ الأمانة ، ونصح الأمة . ثم بعد ذلك تخطو خطوة وتسلم على سيدنا أبي بكر الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطوة وتسلم على سيدنا عمر الخليفة الثانى .. ثم تدعوا الله وأنت واقف عند رسوله بما تشاء ، أو بما يفيض به الله عليك . وإذا كان أحد قد وصاك أن تسلم له على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإفعل ذلك فتقول : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله عنى وعن فلان .. ثم بعد ذلك تدعوا بما تشاء ..

وليس معنى وقوفك أمام رأسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلامك عليه أن تعدد ما تقول أو تلقى خطبة كما يفعل الخطباء

فهذا موقف أبلغ البلوغ فيه يصير أبكم .. لا يجد ما يقوله لماذا ؟ لأنه في هذا المقام تحس أن أساليبك المحدودة لا تقوى على التعبير عما في نفسك حبا لرسول الله إنك لا تجد ما تقوله ، ومهمها قلت فلن تفني رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه .. ولكن يكفي أن تقول الصلاة والسلام عليك يا رسول الله .. وعلى آلك وأصحابك ، وعلى أنبياء الله ورسله .

لقد قطعت مئات الكيلومترات لتأتي أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليم عليه فاجعل السلام مليئا بالشوق مليئا بالمحبة .. وتذكر قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْا نَهُمْ لِمَا ذَلَّلُوهُمْ بِأَنفُسِهِمْ جَاءُوكَفَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ وَلَا سَتَغْفِرُ
لَهُمْ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ قَوْبَابَ حِيمًا ﴾

(سورة النساء)

وأنت واقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم إدعه أن يستغفر لك الله ، فهذا باب مغفرة .. إدعه أن يتوب الله عليك ، فهذا باب توبية .. إن كنت قد ظلمت نفسك فأنت واقف في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

إن الإنسان في مثل هذه المواقف الجليلة والعظيمة لا يملك إلا أن يخشى ويتوجه إلى الله بقلبه سائلا إياه أن يضع على لسانه ما يرضي ربه ورسوله .. وما يقربه إليهما .. سائلا الله دوام التوفيق بدوام الحج والعمرة .. وأن يحسن الأدب في حضرة رسول الله وفي مدینته كلها ..

وهذا دعاء أحد العارفين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد نموذجاً مثالياً لما يجب أن يكون عليه الدعاء :

«إلهي بجاهه عندك ، ومكانته لديك ، ومحبتك له ، ومحبته لك . وبالسر الذي بينك وبينه . أسألك أن تصلى وتسلم على رسول الله وعلى آله . وضاعف اللهم محبتنا له ، وعرفنا بحقه ، ووقفنا لاتباعه ، والقيام بآدابه وسته ، ومتعبنا بحضرته . وأسعدنا بكمالته . وإرفع عنا العوائق والوسائل والمحب . وشنف أسماعنا منه بحلو الخطاب . وأهلنا للتلقى منه . والأخذ عنه . واجعل صلاتنا عليه نوراً فائضاً ماحياً عنا كل ظلمة وظلم . وكل شك وشرك ، وكل إفك وغفلة . واجعلها وسيلة لأرقى مراتب التخصيص . حتى لا تبقى فيها ربانية لغيرك . وحتى نصلح لحضرتك ، ونكون أهلاً لخصوصيتك ، متمسكين بآدابه صلى الله عليه وسلم ، وبالحبل المتيين ، مستمددين منك يارب ومن حضرتك العلية كل توفيق في أمور الدنيا وأمور الدين » ..

وعليك وأنت في المدينة أن تكثر من الجلوس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تشغل نفسك بالعبادة ووحدها . فإذا صليت فسبح ، وإذا سبحت فصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا صليت على الرسول الكريم ، فإدع لك ولمن تحب ..

وإياك أن تشغل نفسك إلا بالعبادة . ولا تفك في شيء

إِلَّا فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ .. إِيَّاكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا ،
إِلَّا أَرْتَكَبْتَ ذَنْبًا عَظِيمًا ..

إن الذي يتتحدث في أمور الدنيا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيّبه عذاب أليم .. وتضيّع منه الدنيا كلها .. فإذا قصّدت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللصلوة ، فإذا انتهت الصلاة فاقرأ القرآن .. واقرأ منه ما استطعت .. فإن قراءة القرآن في حضرة من نزل عليه القرآن لها خشوع ولها هيبة ولها جلال لا يحسه إلا من جلس يقرأ القرآن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..



فِي الرُّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ



واحرص أن يكون جلوسك في الروضة الشريفة . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنها :

(ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة) ..

وهى محددة في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام تحديدا خاصا . بحيث يسهل عليك أن تتعرف على مكانها .. ولكن لابد أن تأق إلى المسجد مبكرا .. لأن الناس كل الناس يحرضون على الجلوس في الروضة الشريفة .. فإذا جلست في الروضة فصل وإقرأ القرآن وسبع . ومادمت في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشغل نفسك بالعبادة ..

اشغل نفسك بالأخرة ، اشغل نفسك بالحياة الدائمة القادمة . إخلع الدنيا خارج المسجد تماما كما تخلع نعليك ، ولا تجعلها تدخل معك إلى المسجد . فهذا مكان فيه العبادة متقبلة ومضاغفة ، والدعوات مستجابة .. وأبواب السماء مفتوحة .. فلا تضيع وقتك في أى شيء يلهيك عن الله ورسوله .. وكلما أكثرت من الجلوس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأت قلبك من نفحات الإيمان .. قد لا تفهمها ولكنك تحسها ..

إنك كلما طال بقاوك إزدت قربا من الله ورسوله ، وبعدا

عن العاصي فإذا أمضيت في المدينة ما شاء الله لك ، وأردت أن ترحل فكما أديت طواف الوداع ، أدخل وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم عليه واجعل هذا السلام هو آخر عمل لك في المدينة ..

ولقد علمنا سيدنا الإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه ما نقوله من أدب الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

«السلام عليك يا سيدي يا رسول الله . عنى وعن ابنتك النازلة في جوارك ، السريعة للحاق بك .. السلام عليكما سلام وعدع . لاقان ولا شئم . فإن نصرفي فلا عن ملالة . وأن نخضى فلا عن سوء ظن بما وعد الله به عباده الصابرين » .. أو تقول أى دعاء آخر في هذا المعنى وتطلب أن تعود مرات ومرات لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدام الله أحياك .





وفي مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام توجد أماكن مباركة كثيرة .. فهذا المكان الذى كان ينزل فيه الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا المكان الذى شهد لقاء الإيمان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين جبريل عليه السلام .

إذهب إلى هذا المكان وهو محدد وصل فيه ركعتين . ثم اجلس قليلا . وتأمل ماذا كان يحدث فيه .. ومنهج السماء ينزل إلى الأرض . وكيف كان لقاء الملك بشريه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاء صعبا ، حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتا كصوصلة الجرس أو كقطنين النحل ، ويتصبب عرقا في أشد الأيام برودة . ويقول : زملون . زملون . وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا لامست قدمه الشريفة قدم أحد الصحابة ساعة الوحي يحس بها كأنها جبل من ثقلها . وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الناقة وجاءه الوحي فإنها لا تستطيع السير ، ولا حتى الوقوف على أقدامها . بل تبرك على الأرض ..

منزل الوحي هذا ستراه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجلس فيه ، وتأمل تلك الفيوضات التي كانت تحدث في هذا المكان . وذلك الكتاب الذي نزل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة للعالمين .. وترفع يديك بالدعاء فهذا مقام للإجابة ، وتحبس ما شاء لك الله في مهبط الوحي وتصل إلى فيه الفروض إن استطعت ..

و زيارتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن تقف عند هذا الحد . بل لابد أن تستشعر عظمة الإسلام فتزور مكان موقعة بدر : الموقعة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل ونصر الحق على أئمة الكفر .. نجد المكان كما هو .. وترى أين كان يقف جنود الإسلام ، وأين كان يقف الكفار ؟ وترى مقابر المسلمين الذين استشهدوا في بدر ..

إن مكان هذه الموقعة يذكرك بحدث هام في تاريخ الإسلام .. هو أول إنتصار للإيمان على الكفر .. وللحربة على العبودية .. ولدين الله على عبادة الأصنام .. إن هذه الأرض شرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم .. وشرفت بدماء شهداء المسلمين ..

وتنتقل من بدر إلى أحد .. تلك المعركة التي وقعت عند جبل أحد ، والتي خالف فيها الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بـلا يغادروا أماكنهم فوق الجبل .. فخالفوه ونزلوا يريدون الغنائم فكانت المزحة .. فلم يكن الله لينصرهم وقد خالفوا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم .. وإنما قوله تعالى :

﴿ إِذْ تُصْبِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَىٰ كُمْ فَأَشْبِكُمْ عَمَّا يَفِي لَكُمْ لَا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا

فَاتَّمُوا وَلَا مَا أَصَبَّكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾

(سورة آل عمران)

وهناك نجد قبر حمزة سيد الشهداء الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ الآية الكريمة :

﴿قَدْ أَنْجَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالاً صَدِيقِهِمْ مَاعِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ مَّا فِيهِمْ
قَضَى نَحْنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْظَرُ وَمَا يَدْلُوْنَا ثَبَدِيَّاً﴾ ﴿٣٣﴾

(سورة الأحزاب)

هذا هو التاريخ الحى للإسلام .. موجود في المدينة .. تاريخ شاهد على كل واقعة حدثت ، وموجود مكانها ومكان شهدائها .. حتى المسجد ذو القبلتين الذي كان يصلى فيه المسلمون متوجهين إلى بيت المقدس ، وعندما نزل الأمر بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام .. كل هذا موجود في المدينة .. التاريخ الحى للإسلام .. ذلك أمر الله سبحانه وتعالى أبقى هذا التاريخ ليكون شاهداً لكل الأجيال على الدين الخاتم .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرسول الوحيد الذي يعرف يقيناً المكان الذي دفن فيه .. والإسلام هو الدين الوحيد الذي حفظت كل أحداثه بدقة ليشهدها من يريد ..

إن علينا أن نتأمل في هذه الأماكن والمشاهد .. لنخرج بالدروس وال عبر .. فإنها نعم الزاد في الحياة الدنيا وفي الآخرة ..

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَكْتُبْ لَنَا وَلَكُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ
مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ .. وَأَنْ يَتَقْبِلَ حَجَّاتُنَا وَعُمَرَاتُنَا وَأَنْ يَجْعَلَنَا
مَغْفُورِيَ الْذَّنْبِ ، مَتَّقْبِلِ التَّوْبَةِ ، فِي قُلُوبِنَا حُبُّ بَيْتِ اللَّهِ
وَحُبُّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. إِنَّهُ نَعَمُ الْمَجِيبُ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ..



الفهرست

صفحة

٥
٩
١٢
١٦
١٩
٢١
٢٣

الفصل الأول

لبيك اللهم لبيك
الحج اشهر معلومات
ابراهيم يؤذن بالحج
اتمام تعمية الله
التذيب مع اجناس الكون
. البكاء عند البيت
تعظيم الكعبة

الفصل الثاني

٢٥
٢٨
٢٩
٣١
٣٤
٣٩

مقام ابراهيم
الكعبة .. علامه البيت الحرام
البركة في الكعبة
الأيات البينات ما هي
من دخله كان امنا
الاختيار العام .. والتکلیف الخاص

الفصل الثالث

٤٣
٤٦
٤٨
٥١
٥٧
٥٩

إلى عرفات الله
التجليات في عرفة
يوم غفران الذنوب
سبب التسمية
الافاضة من عرفات
الغاء امتيازات قريش

الفصل الرابع

٦١
٦٧
٧٢

رجم الشيطان
مغزى رجم الشيطان
الطاعة والعقول

الفصل الخامس

٧٧
٨١

اجتهادات العلماء
الأخذ بالاحوط

ذبح الهدى
التحلل الأكبر والتحلل الأصغر
مائة وعشرون رحمة في الكعبة
الصلوة خارج المسجد الحرام

الفصل السادس

زيارة رسول الله
الزيارة ليست ركنا . ولكن
والمدينة .. حرم
في الروضة الشريفة
هذا نزل القرآن

٨٣
٨٥
—
٨٧
٩١

٩٧
١٠٠
١٠٢
١٠٩
١١١

مكتبة الشعراوى الإسلامية

- | | |
|--------------------------------|--|
| ٧ - المرأة
في القرآن الكريم | ١ - القضاء والقدر |
| ٨ - الشيطان والانسان | ٢ - السحر والحسد |
| ٩ - الخير والشر | ٣ - المعجزة الكبرى
الاسراء والمعراج |
| ١٠ - نهاية العالم | ٤ - يوم القيمة |
| ١١ - معجزات الرسول | ٥ - الغيب |
| ١٢ - الدعاء المستجاب | ٦ - العصمن القرآنى
في سورة الكهف |
| ١٣ - الحلال والحرام | |

الكتاب القادم : الرذق

مكتبة الشعراوى الإسلامية

سهلاً وضماناً لحصولك على جميع الأعداد في أي مكان
تتواجد به .. أرسل اسمك وعنوانك إلى :-

مؤسسة أخبار اليوم

إدارة الاشتراكات

٣ شارع الصحافة - القاهرة

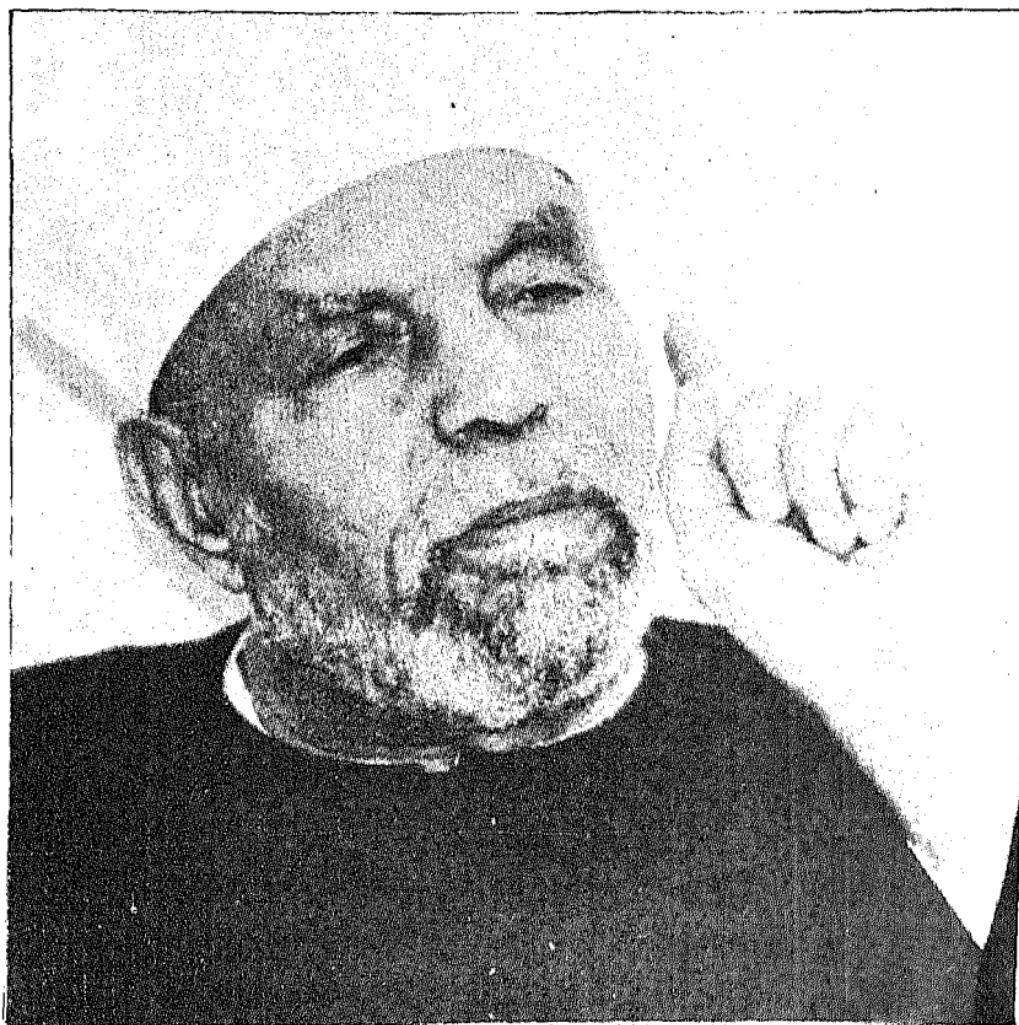
مرفقاً نسخة الاشتراك نقداً أو بشيك أو حواله بريدية

نسمة الاشتراك

داخل مصر	الدول العربية	الدول الأجنبية
جنيه مصرى	دولار أمريكي	دولار أمريكي

٣٦	٢٠	١٨
١٨	١٠	٩٠

١٧ كتاب
٦ كتب



رقم الإيداع
١٩٩٠ / ٣٥٧١
الترقيم الدولي ٩٧٧ - ٠٨ - ٠٠٢ - ٣

الحج المبرور

هذا الكتاب ..

في رحلة العطاء المتواصل لفضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى إشراقات وإلهامات متتجدة تنير الطريق للمسالكين، وتهدى الحائرين، وتعلم البشرية ما خفى عليها من أمور الدين.

إن «مكتبة الشعراوى الإسلامية» هي إحدى هذه العطاءات التى تولت «مؤسسة أخبار اليوم» إصدارها، وصدر فى إطارها العديد من الكتب، يتناول كل القضايا الدينية التى تهم كل مسلم وMuslim، وتفتح آفاقاً جديدة فى تفكيره .

وهذا الكتاب فيض أفاضه رحمن الدنيا والآخرة على إمام الدعاة، وأجراه على لسانه فى لمحات إيمانية ونفحات قلبية، ينير طريق الهدايا للحائرين المتحيرن.